مجموعة قصصية

الكوبرى

تأليف

حسين الوردانى

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : الكوبرى
المؤلف : حسين الوردانى
تصنيف الكتاب : مجموعة قصصية
إخراج : محمد عادل
غلاف : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٩٣٨٣ / ٢٠١٦
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 223 - 6

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى والدى ووالدتى عليهما رحمة الله

فهما اللذان علمانى قيمة الكلمة

وإلى إخوانى و أسرتى

وأصدقائى

أهدى هذا الكتاب

حسين الدوراني

ولادة متعسرة

خرجنا من المسجد المقابل لنقابة المحامين. لم تؤثر فينا كلمات الخطيب، ولا تحذيره للثوار بعدم مشروعية الخروج على الحاكم، وأن هذا فيه مفسدة كبرى. أردنا التوجه لميدان التحرير، لكن الهجوم الشرس الذى واجهتنا به الشرطة جعلنا نهرول ناحية الإسعاف، ومنه إلى شارع الجلاء الذى أُمطر عليه بشر فى لحظات. العشرات أصبحوا مئات ثم إلى آلاف.

كان صوت الثوار تحت كوبرى الجلاء له صدى قوى: «عيش، حرية، عدالة اجتماعية»، ولكن وقع الأقدام على الأسفلت كان له لحن مميز.

فى ميدان عبد المنعم رياض كانوا فى انتظارنا، الهراوات على الأجساد، والقنابل المسيلة فى الجو، والدخان الكثيف يعمى العيون، ولاترى أمامك متراً، ولكن لاوقت للوقوف.

فى اتجاه مستشفى الجلاء كانت قوات أخرى تحاصرنا،

دخلنا شارع شركس، ورأيت الشباب يتساقطون، وأنا منهم، من أثر الاختناق بالغاز.

كانت بعض النساء يقذفن لنا زجاجات الخل والبصل من النوافذ، تطوع رجل مسن بشراء صندوق مياه غازية، وقال: في تونس الثوار قالوا «علاج الغاز البيبسى».

كانت هناك سيارة قادمة من ناحية سينما على بابا، بها امرأة تتألم، والسائق يقسم ألا يذهب معهم إلى مستشفى الجلاء للولادة، وزوجها يسب الثورة والثوار.

تحامل بعض الشباب رغم الإعياء، وأنزلوا السيدة من السيارة. فتحت سيدة بيتها، وأدخلنا السيدة.

كان زوجها يصرخ: «مفيش طبيب؟ الله يخرب بيتكم، ثورة إيه اللى بتعملوها؟ دا شغل عيال، ابنى ومراتى هيضيعوا منى»

لم يكن هناك اتصالات لكى نتصل بطبيب رغم أن بضعة أمتار تفصلنا عن مستشفى الجلاء. قلنا للسيدة: تقدرى تتحركى للمستشفى؟

لم ترد. وقال زوجها: «منكم لله.. الله يخرب بيتكم».

قام شاب أسمر، وقال: أنا هاجيب طبيب من المستشفى.

جرى، ومعه شاب آخر. انتظرنا أكثر من نصف ساعة، كانت أطول من سنة.

جاء الشاب ومعه طبيبة، ودخلت الطبيبة ومعها جارة لصاحبة المنزل، وأخذت أكثر من ثلاث ساعات.

طلب الزوج من صاحبة المنزل أن تحضر له سجادة للصلاة، ولكن صاحبة المنزل لم تهتم به، وأحضرت لنا شاياً .

كرر الزوج الطلب مرة أخرى: «المغرب قرب يؤذن، وأنا لم أصلِّ العصر».

دخلت صاحبة البيت، ولم تعد إلا بعد أن نادت عليها الجارة، وهى خارجة من حجرة الولادة: «هاتى مايَّه سخنة يا أم جرجس».

تمالكت نفسى من الضحك، لكن بعض الشباب لم يقدر. فهمنا سبب عدم إحضار السجادة.

وقالت للزوج: «ألف مبروك يا شيخ ولد زى القمر».

سجد الرجل لله شكرا. كان الشاب الذى أحضر الطبيبة يجلس حزيناً، لم نلاحظ حزنه إلى أن أجهش بالبكاء. سألناه عن الشاب الأسمر، قال: لقد دهسته سيارة مسرعة فى شارع ٢٦ يونيو.

بعد أن ولدت السيدة، خرجت الطبيبة، وقالت: «الولادة كانت متعسرة، هتسميه مين ياحج؟»

ثم قالت: «سميه على اسم الشهيد اللى أحضرنى من المستشفى، أنقذنى من الموت، وفدانى بحياته، لكى أعبر الشارع».

نظرنا إلى بعضنا، لم يكن أحد يعرف اسمه!!

خرجنا من الشارع إلى شارع الجلاء. بعد المغرب لم نجد الشرطة، ولاحظنا نزول الجيش ورغم الظلام، كنا نلمح بصيصاً من الضوء.

الجريمة

كانت الشمس تتوارى خلف الجبل، وكان عمران ينصت إلى أصوات الطيور وهى تغنى وسط «الهيش».

كان يجر بقرة خلفه، ويسوق بقرة أمامه، قادماً من المرعى، ويدندن: «ياجميل غلبوا فى وصفك الحكماء»، و ووووو، كان قد لمح شيئاً وسط الهيش، اقترب منه كان جوالاً به شئ، وعلى الجوال آثار دماء.

صرخ صرخة أفزعت البقرتين: «قتيل... قتيل».

ضرب البقرة التى أمامه بالحبل والوتد الصلب، فأسرعت، ولكن البقرة التى خلفه تراجعت. لكن ترك لها الحبل وساق البقرة الأخرى أمامه، ثم تركها هى الأخرى وجرى ناحية أبيه الذى استقبله بالسب: «فين البهايم يا ابن ....»

عمران صرخ: «فيه قتيل فى الغاب».

الأب: «قتيل يا جبان؟ أنت خايف تنزل؟ تعال غاير ورايا».

مشى عمران خلف أبيه، وصلا إلى «الهيش»، وأشار لأبيه إلى الجوال.

اكتفى أبوه بنظرة واحدة، وقال لعمران محذراً: «اوعى يا ابن الكلب حد يعرف بالموضوع دا»، وجر البقرتين إلى «الحوش».

قال أبوعمران لابنه: «ع البيت على طول».

قال عمران: واللبن؟ مش هاخده معايا؟

قال الأب: مفيش لبن، هارضعه لاولادهم.

قبل العشاء كان أبو عمران قد عقد اجتماعاً مع أخويه وأبناء عمه بشأن الجثة. اقترح شفيق ابن عمه أنه يجب تبليغ الشرطة، ولكن الكل لاموه، وقالوا: «الشرطة هتدخلنا فى سين وجيم، واحنا مش ناقصين وجع دماغ».

قال أخوه حمدين: «احنا نولع فى الهيش ونخلص».

قال الشيخ مرسى: «برضه دى جثة إنسانة، ممكن يكون ابوه قتلها علشان أخطات، بس لا يجوز حرق جثتها، دى مسلمة مش هندوسية».

بعد عدة ساعات من المباحثات، اتفق الجميع على أن يبقى الموضوع سراً بينهم، وأن يبتعدوا هم وأولادهم عن مكان الجثة.

قبل النوم كل رجل من العائلة قد حكى لزوجته عن الجثة ووصفها، وكيف أن آثار الطعنات فى الصدر والرقبة، وانها فتاة جميلة «بس مش من البلد».

والكل حذر زوجته من التحدث إلى أحد «دا سر».

فى الصباح حكت كل زوجة لأبيها وأخيها، وكل منهن تقول لأبيها: «اوعى يا ابا تقول لحد ده سر».

أجمل شئ أن البلد كلها عرفت هذا السر. فى اليوم الثالث كان خطيب الجمعة يتحدث عن كرامة المسلم، و قتل النفس، والشجاعة، ومن رأى منكم منكراً، وإكرام الميت دفنه.

كان الكل يفهم أنه المقصود لأنه الوحيد الذى يعرف السر!!

ولكن كلام الخطيب يلمح للموضوع، ولا يتكلم بوضوح لأنه بشر يخاف من المساءلة.

بعد الصلاة انتشر المصلون أمام الجامع. الكبار فى ناحية والشباب فى ناحية، وعمران فى ناحية، وحوله الأطفال، هو يقص أنه أول من اكتشف الجثة، وأنه وقف ساعة يتفرج على الجثة ولم يخف.

البعض أشار على العمدة بأن يبلغ الشرطة، قال العمدة: لم يصلنى بلاغ رسمى، و الجثة خارج حدود القرية، وليست

مـن القريـة، وأنـا يهمنـى أمـن أهـل القريـة فقـط، وهـم جميعـاً بخير.

وقال» المسئولية تقع على صاحب أقرب أرض للجثة.

توجهـت عائلـة عمـران إلى الحـاج حسـنى صاحـب أقـرب أرض للجثـة، وقالـوا لـه: احنـا خايفـين عليـك، البوليـس لـو اكتشـف الجثـة أول واحـد هـيروح فـى الرجلـين أنـت، بالليـل تشـيل الجثـة، وترميهـا فـى البحـر.

قال الحاج حسنى: وانا هاستنى لليل؟ دلوقتى.

تحـرك الحـاج حسـنى، وخلفـه عائلـة عمـران، ومـن بعيـد العيـون تراقبهـم، وووووواقـترب الحـاج حسـنى مـن الجثـة، كانـت الرائحـة الكريهـة تزكـم الأنـوف، ولكـن الخـوف ينسـيك كل شئ، وضـع يـده بطـرف العمامـة علـى أنفـه وعينه، وأمسـك طـرف الجـوال باليـد الأخـرى، وبنظـرة عابـرة إلى الجـوال، انفجـر ضاحـكاً، وتـرك الجـوال، وهـو لا يتماسـك مـن الضحـك.

البعـض ظنـه قـد جـن، ولكنـه قـال، وهـو يضحـك: الجـوال بـه كلـب ميـت!!

اليمامة

كانت الأفكار والذكريات تتزاحم فى عقلى، وأنا عائد إلى قريتى بالقطار بعد غياب عشرات السنين.

كنت أطوف بخيالى فى أرجاء البيت، تذكرت اليمامة التى بنت عشها فى أسفل سقف البيت بين «كمر» الحديد وسياج السقف.

أتذكر عندما سقط فرخ لها، وأراد أخى الصغير أن يلهو به، ولكن أبى نهره، وأمرنى بأن أصعد بالسلم، وأضع الفرخ مكانه، وقال له: هذه اليمامة وجدت الأمان هنا ولن نخذلها.

و اليمامة منذ هذا التصريح أخذت عقد شراكة فى المنزل، تشارك الطيورالمنزلية الطعام والشراب والوقوف فوق حبل الغسيل بحرية.

وعندما تسمع أمى صوتها فى الصباح تبتسم وتقول: بشيرة ان شاء الله بالصلاة على النبى، وتؤكد لى أمى أن مسافراً سوف يعود.

ورغم أننى كنت أعتقد -ومازلت- أنها محض صدفة، إلا أن تنبؤات اليمامة لم تخب فى يوم!!

استمرت اليمامة وأولادها وأحفادها يتوارثون هذا العش، رغم أن الكثير من إخوتى هجروا البيت، بقى أحفاد اليمامة فى عشهم.

وصل القطار المحطة، وجدت صديقى فى انتظارى. وبعد الترحيب والسؤال عن الأصدقاء، قال لى: لاشئ جديد. سوف تجد المبانى تغيرت، ولكن العادات كما هى.

قلت له فجأة: إيه أخبار اليمامة؟

قال بعد أن تنهد: اليمامة الحزينة تزوجت وتركت البلد.

قلت له: لا أقصد حبك القديم، هكذا كنت أطلق عليها، فرغم جمالها كان يكسو وجهها الحزن، ورغم حبه لها، لم يلمح لها بحبه، وظل وفيّاً لمحبوبته التى لا تعلم شيئاً عنه.

قلت: أقصد اليمامة التى تسكن فى بيتنا.

قال: انت فاكر؟؟ زمانها تركت البيت، ما هو انت واخواتك تركتوا البيت؟ هى أكيد شافت لها عش آخر.

عند الميدان وجدنا الشباب متحلقين حلقة السيجة

قال: لا شئ يتغير، الآباء رحلوا، وورث الأبناء المكان.

عندما دخلنا الدرب، وأخرجت المفتاح الذى أصابه الصدا وكذلك القفل، واقتربنا من الباب، سمعنا صوت اليمامة من الداخل ترحب بنا.

قلنا فى صو ت واحد: بشيرة خير إن شاء الله بالصلاة عن النبى.

ابتسم صديقى، وانحدرت دمعة من عينى.

المتقلب

كان الراكب الأخير فى السيارة، وما إن جلس وتحركت السيارة حتى أخذ يشتم فى الشعب المصرى: شعب متخلف يستاهل اللى بيتعمل فيه.

رد عليه شاب بأدب : طيب لو البلد وحشة، واحنا متخلفين، ايه اللى جابرك تعيش فيها؟

قال: أروح فين؟

كل البلاد أوسخ من بعض، أنا عشت فى ليبيا والعراق و اليمن.

ثم ضحك، وقال: مفيش احسن من الشعب المصرى، شعب ذكى وابن نكتة، ورغم المصائب بيضحك.

قال شيخ ملتحٍ: البعد عن الدين هو اللى وصلنا لكده.

رد الراكب الأخير: فعلاً يا مولانا، والإخوان لما حبت تنضفنا بص عملوا فيهم ايه؟ دول بوليسية منذ عهد الطاغية عبد الناصر.

رد الشاب: بس عبد الناصر عمل نهضة اقتصادية وتعليمية.

قال: دا كان بيكره رجال الدين، وكان حرامى.

رد الشيخ: كلمة حق، رغم كل عيوبه، إلا أنه كان رجل نظيف اليد.

رد: أنا كنت أقصد السادات والمخلوع.

رد الشاب بسخرية: مين؟ تقصد المخلوع مبارك ولا مرسى.

قال: انت بتقول مرسى حاف؟ إن شاء الله هيرجع، ويحبس كل قادة جيش النكسة.

رد الشاب: وليه؟ مش هو نفس الجيش اللى عبر؟

قال: بس كان قائد الجيش الرجل الحرب العظيم السادات بس السيسى ال....

همس فى أذنه رجل: بلاش الكلام ده أمن الدولة.

قال بغضب هوانا بخاف

— ها ها يا أمن الدولة

رن هاتفى، قلت أيوا: يا باشا هو معايا فى السيارة.

آه انا سجلته... طبعا فيه شهود ... أنا هاجيبه لسيادتك فى سكتى.

خيم السكون فجأة ولم يتحدث أحد. كسر الراكب الأخير وهو يتلعثم حاجز السكون، وقال: الله يخرب بيتك يا مرسى وقفت حال البلد، دا أيام الزعيم عبد الناصر البلد كانت فى حالة حرب، وكنا شبعانين هو واحد خارج من السجن هيعرف يدير البلد هو والإخوان؟ بعد اذنك يا اسطى نزلنى عند عربية الفول، أنا لسه مافطرتش.

رد السائق بغضب: هوانت مش قلت للآخر؟

ثم نظر إلىَّ وقال: أنزله ياباشا؟

قلت: وانا مالى ينزل والا مينزلش؟

قال: مش سيادتك سجلت اللى قاله واحنا كلنا شاهدين؟

قلت: مين قال كدا؟

قال الشيخ: حضرتك قلت للباشا.

قلت: أنا كنت باكلم المدير، أرسلنى أسجل عقد فى الشهر العقارى

وأنا راجع هاسلمه العقد.

ضحك جميع من فى السيارة.

قال الراكب الاخير: خلاص يا اسطى أنا معاك للآخر.

اعتقاد

كعادتها جاءت زميلتنا الأستاذ ة (ف) والدموع تملأ عينيها، وجلست معنا أثناء الفسحة، وهى تبكى.

قالت: أنا لازم اتطلق منه.

من الزميلات من شجعتها، ومنهن من عارضتها من أجل الأولاد.

قال الأستاذ مصطفى ليلطف الجو الكئيب، موجهاً كلامه لى بسخرية: اعمل للراجل ده عمل.

قلت: يا مصطفى أنا بطلت شغل الأعمال.

ألح علىَّ، وهويعلم أنى لا اعرف شيئاً.

قلت: علشان خاطرك يا درش، هى بس تجيب لى اسم امه، وأى حاجة من أثره.

قالت بلهفة: اسم امه.....، وبكره يكون عندك حاجة من أثره، زى

إيه؟

قلت لها: فردة شراب.

قالت جاضر.

بعد الفسحة أخذت ألعن مصطفى وأباه؛ لأنه وضعنى فى هذا المأزق.

قال لى: سوف تنسى هى، أو نجد أى حجة.

فى اليوم التالى أتت بفردة شراب.

قال لها مصطفى: يمين أم شمال؟

قالت: يمين.

قال لها: ليه كنا عاوزينها شمال.

أخرجت الفردة الشمال من الحقيبة، وأعطتها لى.

أخذت أفكر فى أى حيلة، فجأة، وجدت كتاب «ففروا إلى الله» للشيخ أبى ذر القلمونى، أخذت منه بعض الأذكار، وكتبتها فى ورقة، وقلت لها: نفذى هذه التعليمات بدقة، ولاتنامى إلا على وضوء.

وأعطيتها بعض الأعشاب الطبية مثل حلف البر والسخبر، وقلت لها: اسقى منه زوجك كل ليلة.

وفى اليوم التالى جاءت، والسعادة تكسو وجهها، واستمر الحال لعدة شهور.

وفى يوم كنا نجلس فى الفسحة، وكانت هى كثيرة الكلام، قال لى مصطفى: ما تقرا عليها، خليها تبطل كلام.

أشرت لها بيدى بحركة مسرحية، ووواصلنا الحديث.

وجدنا الدموع تسيل من عيونها، سألناها مابها، أشارت بيدها انها لاتستطيع الكلام، توقف قلبى أنا من الرعب، نظر إلى مصطفى، وجد أن وجهى تغير، قال: اعمل حاجة يا شيخ.

قام هو، أحضر كوب ماء وقال لى: عزم عليه.

لا أدرى ما قرأت، وقلت لها: اشربى.

شربت، وبعد لحظات قالت: الحمد لله.

قلت له: منك لله.

قال لى مصطفى: بصراحة أنا صدقت انك شيخ.

قلت له: احنا دافنينه سوا.

فى نجعنا نخنوخ

قبل الفسحة دخل علينا أستاذ حليم مدرس الحساب، وعلى غير عادته نظر با شمئزاز إلى نخنوخ، وقال له: قم يا حيوان امسح السبورة.

تفاجأنا نحن تلاميذ الصف الخامس بهذا الطلب، نخنوخ يمسح السبورة؟!!

تباطأ نخنوخ فى الوقوف، ولكن نظرة من أستاذ حليم إلى العصا جعلته ينجز المهمة فى ثوانٍ، وقبل أن يعود إلى مقعده استوقفه بالعصا ،وسأله: ٩×٦ بكم؟

طوال السنة لم يسأله سوى سؤال واحد: ٥ × ٥.

تلعثتم نخنوخ، ولم يجب، ولم يمهله أستاذ حليم للتفكير، وانهال عليه ضرباً، وقال له: شيل كتبك واترزع فى آخر كرسى.

نخنوخ فى آخر كرسى؟!!

رغم فرحتنا العارمة بضرب نخنوخ، وإهانته، لابد أن نواسيه، لاعن حب بل خوفاً.

نخنوخ ليس قوياً، ولا ابن العمدة، ولا ابن الناظر.

كل أطفال النجع يطلبون رضا نخنوخ، بل أصدقاء أطفال النجع أيضا

بيت نخنوخ فى مدخل النجع، ونخنوخ يمتلك كلباً شرساً مربوطاً تحت الشجرة أمام البيت، وكل من فى النجع يمر أمام بيت نخنوخ، بمن فيهم أستاذ حليم الذى كان فى الصباح يضع يده على كتف نخنوخ فى حب وألفة، ومن لا يحترم نخنوخ فالكلب موجود، ونباح الكلب لا شكله كفيل بإسقاط الحامل.

نخنوخ يختار لنا ما نلعب، له حرية اختيار الفريق والحكم والجمهور أيضا فى لعبة الاستغماية، لا أحد يطارد نخنوخ فى لعبة (شد أمبيب الحجلة)، لا أحد يسقطه أرضاً فى كرة القدم، هو الهداف وأحسن أخلاق، فى الفسحة يختار لنا ما نأكل ونشرب، ويشارك الجميع الاكل، نخنوخ لا يطلب بل يأمر.

دق باب الفصل ابن عمى وأستاذن من أستاذ حليم أن يأخذ منى مسطرة، أذن له، قال لى بصوت خفيض وهويكاد يطير من الفرح» كلب نخنوخ اتسمم ومات.

شهقت شهقة سمعها من خارج الفصل: إيييييه انت متاكد؟

أقسم لى أنه شاهد جثته تحت الشجرة.

قال له أستاذ حليم وهو يبتسم: خلاص بشرته؟ أيوه كلب نخنوخ مات.

هلل جميع من فى الفصل وربما جميع الفصل، انتظرنا الفسحة بفارغ الصبر، فى الفسحة الكل أخذ معه حقيبته فالكل ذهب لمشاهدة جثة كلب نخنوخ، ولكى يركله بقدمه ركلة الوداع.

ظل نخنوخ فى الفصل وحيداً بعد أن حذره أستاذ حليم من الغياب ومعاقبته غداً.

العجواية

لم اصدق عينى وأنا أرى كرم النخيل الذى كان أكبر كرم نخل فى القرية، و يحتوى على أجود أنواع البلح، وقد أصبح هكذا خراباً، معظم أشجار النخيل غير مقلمة ، ولا توجد بها ثمار.

بحثت عن العجواية التى كانت تتوسط الكرم فلم أجد لها أثراً. تذكرت طفولتنا وقت الظهيرةعندما كنا نجلس تحت شجرة المانجوعند السبيل، وما إن نشعر بالجوع حتى يتسلق رجب العجواية بمهارة، وربما يجد من سبقه بالصعود، وينزل وحجره ممتلئ بالعجوة، ودون غسيل نأكل ونشر، ولا نفكر فى الذهاب للبيت للغداء.

سمعت صوت من خلف «زرب البوص» : تعال، إيه اللى فكرك بينا؟ مصر اخدتكم مننا، اقعد، بتذكر الماضى، والله التفكير فى الماضى جاب لينا المرض.

قلت بلهفة: عم عوض؟

قال بسخرية: أيوا عم زفت.

قلت له: رغم السنين لم تتغير.

قال: للأسف يا سيد عمك بنتغير للأسوأ، طبعا انت مستغرب

من اللى حصل للحوش الكبير، البركة يا سيد عمك اتمحقت مفيش بركة.

قلت له: مين اللى وقع العجواية؟

قال: الطمع.... مفيش حوش فى البلد كان يخلو من عجواية واتنين وتلاتة ، الكل كان يتشعبط على أى نخلة، ولا حد يسأله. من عشر سنين كانت العجواية دى ملك أهل البلد.

ثم ضحك وقال: من سنين كان فيه واحد غلبان، فى الليل جاع أو كانوا عياله من غير أكل، وركب العجواية، جاء درفون لأصحاب الحوش زعق معاه، وياريت كدا بس.. ربط الكلب تحت النخلة وسابه فوق النخلة. من كرم ربنا ان والد الولد دا بالصدفة معدى وجد الكلب مربوط والرجل فوق النخلة بيصرخ.

قام حول الكلب من تحت النخلة، ولم يسأل الرجل: من أنت؟ وقال له: تعال فى النهار. النخلة دى مش بتاعتنا، دى لله.

تانى يوم طرد ولده من البلد، وبعد سنوات مات الرجل، واول شئ فكر فيه الورثة اقتلاع العجواية.

تنهد وقال بحسرة: الكبار كانوا بيبيعوا النخل بعد ما يلون البلح، الصغار بايعين الحوش لخمس سنين جاى، وممكن لأكثر من تاجر

كل سنة المنادب تشتغل، آه جات من ربنا وما طرحش.

— قل يا باسط.

متين مسافر؟

ضحكت: يومين تلاتة.

قال بسخرية: كتير، بالله ابقى ابعت لينا شوية عجوة من مصر.

سرت فى جنازتى

سوف يظل الموت سراً رهيباً يقلق الإنسان، ويهدد تفكيره، رغم أن الموت حقيقة واقعة.

كان حديثنا أنا و الأصدقاء يدور حول هذا السؤال: ما الذى يقوم بإسدال الستار على الحياة موت القلب أم الدماغ؟

قبل أن أخلد إلى النوم كنت أفكر فى هذه القضية، ماذا لو توقف قلبى؟؟؟

رأيت نفسى فى غرفة العمليات، وقد توقف القلب عن النبض، وحضر فريق من الأطباء، وبدأوا بتوصيل جهاز الصدمة الكهربائية إلى صدرى ليعيد قلبى للعمل.

ورأيت نفسى أنتفض إثر الصدمات، ثم خرجوا وقالوا مامعناه: لافائدة.

حملتنى سيارة الإسعاف إلى البلد.

تذكرت أننى فى طريقى إلى البلد، اختلت عجلة القيادة من السائق، وانقلبت السيارة، وكل من فيها نجا باستثنائى أنا.

شاهدت الفرحة فى عيون الناجين، سريعا وصلت سيارة الإسعاف، وضعونى على السرير الجريد الذى ولدت عليه.

ما أسرع المغسلين فى بلدنا!!

وجدت صديقى الذى مات منذ سنوات يقف بجوارى ، وأنا أنتظر من ينقذنى، سألته: انت ايه اللى جابك؟ انا لسه حى.

قال: أنا جاى اتفرج.

أخذنى إلى الخارج وصعد بى إلى أعلى المبانى.

قال انت هتشوف العجب، انظر ... هناك اثنان يتحاسبان فى فلوس تجارة، وهذان يتفقان على موعد فرح أولادهم، استمع إلى هؤلاء.

أحدهم :هو قضى طول عمره فى الغربة جاى يموت هنا؟

آخر: يعنى بدل ما نقعد عليه يوم نقعد ثلاثة أيام؟ تعطيل مصالح.

ثالث: لا وكمان صينية غدا وعشا...

لمحنا زميلين لى قادمين من أول النجع، كانا يضحكان رمى أحدهما السيجارة وهو يضحك، ثم صرخ هو والآخر فى صوت واحد: أمر الله يا اخوى.

واستمرا عدة دقائق، كان الاتفاق مسبقاً مع أصدقاء لهم

بأن يمسكوهما ويجلسوهما وهم يقولون لهما بصوت حزين: وحدوا الله –الله يرحمه...كان غالى علينا.

قال لى صديقى المرحوم: عارف صديق الطفولة الذى تربينا معه؟ سمع الخبر، راح يتغدى ويشرب الشاى ويشيش.

وبص اللى هيعمله قد نفس اللى عمله وقت موتك.

حمدت الله أن عيالى وزوجتى لم يحضروا جنازتى.

حملنى الشباب على سرير حبال، وارتفع صوت صراخ النساء، وسبيل الرجال.

قال أحد الرجال: مش هتستنوا لما عياله يوصلوا؟

قال آخر خير البر عاجله.

أقصد : إكرام الميت دفنه.

كتم البعض ضحكته، ولم يفلح البعض.

بعد أن صلوا علىَّ صلاة الجنازة، قال لى صديقى المرحوم: تعال نتمشى معهم إلى المقابر، انت هتموت من الضحك.

كان الشباب قد أعدوا القبر، وما إن وضعونى فى القبر حتى كان كل من المقابر ينظر إلى السيارات، حتى جارى الذى كان يقرأ الفاتحة

لم يكملها حتى يلحق بالسيارة.

صحوت على رنين الهاتف، وجدت نفسى فى البيت، وأولادى نائمون. كان على الطرف الآخر صديق لى:

مين؟ ياصباح يافتاح..... مات امتى؟ .... فى المستشفى؟

حاضر خمس دقائق واكون عندك.

أيقظت الأولاد : واحد فيكم ينزل يجيب فطور

مشناق الكلاب

كانت القرية كعادتها وقت الظهيرة ، الطرقات والدروب خالية من أى كائن حى ، هكذا يفعل بنا الصيف فى أسوان، أشجار المانجو والنخيل كأنها صور لا تتحرك، أفزعنى أصوات وضوضاء وحركة غير عادية فى الدرب، بخبرتنا نفرق بين صراخ الموت، وصراخ الحريق، وصراخ «الشكلة» أى الشجار.

خرجت مسرعاً تجاه الباب، وجدت كأن الدرب انشق وأخرج هؤلاء الأطفال والشباب والنساء.

الكل يجرى فى اتجاه واحد ناحية نخيل الحاج عبد التواب العدوى، استوقفت طفلاً شبه عارٍ، وفى يده نصف رغيف محشو بالطبيخ، قال بعد أخذ «قطمة» من الرغيف وقبل أن أسأل : الحاج عبد التواب: «بيشنك بوش».

لم أصدق أن الحاج عبد التواب يشنق كلبه المدلل بوش، لابد أنه حدث جلل.

جريت خلف الأطفال حافى القدمين، وجدت الحاج عبد التواب يجلس على جزع نخلة وبيده «نبوته» الشهير الذى يقال: إنه قتل به الذئب، وحوله أهل القرية يجلسون على الأرض.

كان الصمت يخيم على المكان، والكل ينظر إلى الحاج عبد التواب.

كان العرق يملأ وجهه، والكل ينتظر وصول الشيخ عويس، هو الوحيد الذى يتصدى للحاج عبد التواب، لا أحد فى القرية يمزح معه.

وصل الشيخ عويس عارى الرأس وعمامته فى يده، وقال: إيه الهوسة دى اللى عاملها يا عبد التواب؟ يعنى مش حنعرف نقيل فى نهارك المنيل؟

لم يرد الحاج عبد التواب.

أكمل : معقول عاوز تشنق بوش؟ دا أحسن كلب فى القرية.... الغريب أنا مش عارف انت سميته بوش ليه ، حب فى بوش ولا كره فيه ، الظاهر انك كبرت وخرفت.

لم يبتسم الحاج عبد التواب رغم أن الشيخ عويس هو الوحيد الذى يضحكه.

وقال : فاكر يا عويس من خمسة وعشرين سنة لما نط الديب فى حوش (المرعياب)؟

ضحك عويس، ونظر إلى «نبوت» الحاج عبد التواب، وقال: دى كانت ليلة، انت اديته ضربة واحدة ورا صرصور ودنه ما اداش منطق، وبعد كدة نزلنا على دماغه خليناها ستين حتة، بس الحقيقة هو مات من خبطتك.

قال: الليلة اللى فاتت الديب أكل خروف من الحوش بتاعى.

قال: وإيه يعنى؟ يمكن الكلب كان فى مكان تانى، أو مشى ورا كلبة مكرة.

قال عبد التواب : من شوية لقيته بياكل بقايا الخروف، يعنى شريك مع الديب ، ما هو الناس بتتغير، الكلب مش حيتغير؟ وابنى نايم فى البيت زى الحريم، وعاوز الكلب يحمى حوشه.

قام ابن الحاج عبد التواب، وفك الكلب، وطلع النخلة المعوجة، وعلق بها الكلب، ونزل، وأمسك «بنبوت» أبيه، وضرب الكلب خلف صرصور أذنه، وأمسك الشباب بالعصى، وهجموا على الكلب المعلق حتى تحطمت رأسه.

وأصبح وقت الظهيرة موعد شنق الكلاب، وأصبح كرم نخل الحاج عبد التواب مشناق للكلاب.

عديلى

كل يوم عقب الصلاة الفجر يوقظنى أبى لأقوم بتوصيله إلى المعدية أركب خلفه. حمارنا الجديد – الذى اشتريناه بعد موت حمارتنا – سريع، لكن كل الصغار يخشون حمارتنا العالية البيضاء (الفياطة).

رغم شدة البرد كانت حكايات أبى تدفئنى.

كان أصدقاء أبى ينتظرونه، كل منهم يركب أمام ابنه، وينتظرنا على قارعة الطريق المهندس مصطفى عند الشيخ سليمان، والأستاذ حسن عند الشجرة التى تسمى الآن شجرة المعاشات.

فى هذا اليوم لم نجدهم، سألت أبى عنهم، قال: الظاهر أن اليوم أجازة.

كانت هذه مصيبة بالنسبة لى؛ لأننى سوف أعود بمفردى، قلت لأبى: أنا هارجع لوحدى؟

قال: ليه مش انت راجل؟

قلت له: صغار القوز يحلقوا عليا.

رغم أن صغار القوز لم يتعرضوا لى أبداً، لا أدرى هل بسبب حب آبائهم لأبى أم خوفاً من حوافر قدمى الحمار الخلفيتين.

قال: الوقت بدرى لسه مصحيوش.

كلمة «الوقت بدرى» زادتنى رعباً، يعنى هارجع من موردة النجاجرى إلى القوز بين الأشجار الكثيفة، ومن خلف الاشجار والحلف مقابر عبد المولى.

شعر أبى بما يدور فى رأسى ، قال: ماتخافش.. عمك أحمد خفير الفوريكة هيرجع معاك.

كان شعور ينتابنى بأننى من أهل القوز من كثرة أصدقاء أبى، كانوا عند سقيفة ال عتال ينتظرونه، و يتبادلون معه النوادر، وأمام المسجد، وعند بيت الشيخ ركابى أبو النصر و عم نجدى وكلهم ينهى كلامه بكلمة عديلى.

كل تلك الوجوه أتذكرها، رغم أن بعض الأسماء سقطت من الذاكرة.

عند بيوت السويفى كان الرجال ذوو اللحى البيضاء ينتظرونه مبتسمين كعادتهم، و يلقى عليهم أبى السلام: عليكم ورحمة الله وبركاته.

ويـردون عليـه بالمثـل ويقولـون لـه: أخـذت ثلاثـين و ونحـن ثلا ثين .

ويـردون عليـه التحيـة بحديـث شـريف أو آيـة ، وبعـد الزيـادة كلمـة عديلـى •

كانت توجد شجرة ليمون على شمال الترعة، لا أدرى

لمـاذا يقشـعر جسـمى عندمـا أمـر عليهـا، ربمـا حكـى لى صغيرعـن قتيـل بالقـرب منهـا، لا أذكـر.

لم نجـد العـم أحمـد ينتظرنـا كعادتـه، سـال أبـى المراكبـى عنـه فاجأبـه بأنـه لم يـأت، قـال لى أبـى: لا تخـف.. أنـت رجـل ... أغمـض غينيـك إلى ان تصـل إلى القـوز، ومـن يكلمـك لا تـرد عليـه.

قلت له: عديلى .

أغمضـت عينـى وغمـزت الحمـار فهـرول، وأنـا أقـرا مـا أحفظـه مـن القـرآن.

الحمـار لم يغـير مسـاره، ولكـن لم أفتـح عينـى بـل أقنعـت نفسـى أنـه يمشـى فـوق الترعـة، وهاهـى الليمـون الملعونـة علـى يمينـى.

قلت فى نفسى: خمس دقائق وأصل القوز.

سمعت حركة وهمهمة وصوت فأس يحفر، لم افتح عينى، لابد أن العفريت يريد خداعى، سمعت أحدهم يذكراسمى.

ورد آخر-: شايف الصغار مش خايف.

قلت إن العفاريت تعرف كل الناس، نادانى ولم ألتفت إليه.

الصوت اقترب منى، وقال لى: هو انت نائم يا .....

قلت فى سرى: قل أعوذ برب الناس.

وقف أمام الحمار،وقال لى: أنا فلان..... ما تخافش.

فتحت عينى، وجدت نفسى وسط المقابر؛ لأن الحمارلم يتجه إلى القوز بل إلى القيزان لأن صاحبه السابق من القيزان، وبعض الشباب يحفرون قبراً.

سألت: من مات؟

قالوا: عم أحمد خفير الفوريكة-

السياسى

كل القرية تميز صوتها وتعرف زغرودتها فى الأفراح وصرختها فى المآتم. كان صوتها يأتى من ناحية النجع القبلى،وهى تشتم وتلعن وتهدد وتتوعد، ونحن متحلقون حلقة السيجة خلف المسجد الكبير. الكل قال فى صوت واحد: ام..... فيه مصيبة.

كانت تجر ابنها خلفها، وجلبابه ملطخ بالدماء.

ارتفع صوتها عندما اقتربت من الجموع التى أتت للفرجة، قالت: شايفين يا اهل البلدرابن الصول عمل ايه فى ولدى؟ طفحه الدم.

هو انا علشان غريبة مليش اهل اتهان؟

لا انا الحكومة تجيب لى حقى.

صمتت، ثم أكملت: ولا واحد من الافندية عاوز يكتب لى البلاغ .... انا هاروح النقطة.

خرج من المسجد، وقف على عتبة المسجد ووضع يده فوق حاجب عينه ليستكشف الموقف، وقال بصوت متوعد: مين اللى مزعل بنت المرحوم؟ يا خبر اسود...ولاعشنا ولا كنا لما بت المرحوم تتهان واحنا على ضهر الأرض.

اقترب منها، ونظر إلى الولد، وقال بنبرة أشد تهديداً: مين اللى ضربك؟ الولد راسه مفتوحة.

قالت: ابن ود بتك (الفتوة) عامل راجل.

قال: ابن الكلب، والله ولو ولدى ، القانون لازم ياخد مجراه، تعالى انا بنفسى اكتب لك البلاغ.

اختارنى من بين الجموع قال (آمراً): هات فرخ ورق من خالك.

ذهبت إلى دكان خالى الذى كان يراقب الموقف وفى يده أفرخ الورق، وأعطاها لى قبل أن أطلب منه، ولم يأخذ منى الثمن، وقال لى: حافظ عليها علشان هيرجع ومش هيكتب فيها.

ذهبت إلى البيت خلفهم، وجدته جالساً، وبالقرب منه الطفل المصاب، وهى تجلس على الأرض. قال: الأول نكتب مسودة فى دى الكراسة وبعدين نبيض المحضر فى ورقة فلوسكاب.

بسم الله الرحمن الرحيم...السيد مامور مركز دراو... إنه في يوم .... يضع القلم وسط الكراسة: باين عليكى لسه ما

تغديتى ناكل لقمة مع بعض، ورحمة المرحوم ما تكسفينى، أقسمت له أنها تغدت، نادى على زوجته: هات شاى وهات حاجة حلوة من التلاجة للولدالغالى ود الغالى.

أخرج القلم، وقال الثلاثاء الموافق٩-٤-١٩٩٤قام الدعو محمد حسين همام بالتعدى على الطفل شادلى أبو الحسن قناوى بآلة حادة... نظر إليها: نكتب مطواة أم سكين؟ خليها سنجة علشان قانون الإرهاب...وكان متربصاً له بين القصب فى الظلام.

قالت البلد: مفيهاش قصب، وهوضربه بالنهار.

قال/ بلاش القصب... بس بالليل علشان يبقى فيها سبق الإصرار والترصد ودى فيها ٢٥ سنة مؤبد...أصل ابوه مش مربيه خلى السجن يربيه.

قالت: كتير ٢٥ سنة علشان أمه غلبانة زيى.

قال: بلاش نخليهم ١٥ سنة أصلع لازم يتأدب.

قالت: خليهم سنة... ست أشهر...

قال: والله قلبك الأبيض هو اللى مضيع حقك.

قطع الورقة ومزقها، وقال: نكتب محضر جديد....إنه فى يوم قام المدعو محمد حسين همام بالتعدىبآلة حادة.

وضع القلم ... قلبك الأبيض فكرنى بالمرحوم كان دائما يعفو عن مقدرة زيك كده... و ين الشاى يا بت الحاج؟

أحضرت زوجته الشاى وعلبة عصير للطفل.

قال لزوجته: ولا فيه حتة بسبوسة للولد؟ دا دمه اتصفى.

قالت أمه: لاوالله مش مستاهلة دا جرح بسيط.

قال لها: لا يا ام شادلى مش بسيط ... انا حلفت لازم الولد يتحبس ... هو علشان ود بتى (حبيبتك) وغالى عليا اضيع حقك؟

قالت أم شاذلى علشان خاطرك أنا مسامحة فى حقى.

قال: لا انت كده بتزعلينى منك... بس أنا هاصلى المغرب وأجيبه لحد البيت متكتف.

قال لى: يا سيد عمك شربت الشاى؟ رجع الورق لخالك وقل متشكرين.

قابلنى خالى مبتسماً، وقال لى: اناعارف انه مش هيكتب فيها كلمة.

بعد لحظات خرجت أم شاذلى تضحك وتجر ابنها خلفها وكأن شيئاً لم يكن، وهو واقف أمام البيت يودعها كأنه سارية علم مرفوعة.

المنحوس

رن الهاتف، رفعت السماعة، وقلت: نعم أنا هو من انت؟

قال: ابوالسعد.

قلت: ابو السعد مين؟

ضحك وقال: المنحوس يا سيدى... عرفتنى دلوقتى؟

من قبل أن أرحب به قال بدون مقدمات: انا عرفت انك فى البلد، وانا منتظرك الآن فى مندرتنا، وهات بطاقتك معاك، فيه سيارة سوف تاتى لك أمام البيت.

تذكرته... منذ عشر سنوات عندما كنت مسافراً إلى القاهرة، كان كل ركاب العربة بالقطار يبتعدون عنه، كان المقعد الذى أمامه شاغراً، وكذلك الذى بجواره، وبعض الركاب وقوف بين العربات.

استغربت، هل به مرض معدٍ؟ لماذا يتحاشاه الناس؟!

همس الراكب الذى بجوارى: ربنا يستر والقطار يصل.

نظرت إلى الرجل وقلت له: هو مين دا؟

قال: هو انت مبتعرفوش؟ ابو السعد البومة النحس، دا أشهر واحد فى المحافظة.

قلت له: سمعت عنه انه من قرية مجاورة لنا، هو علشان كده الناس خائفة منه؟

قال بلغة التحدى: لو انت مش خائف اقعد بجواره وشوف اللى هيحصلك.

بدون كلام حملت حقيبتى وجلست بجواره، ابتسم لى، وقال: يعنى مش خائف انحسك؟

قلت ضاحكاً: لا تشاؤم فى الإسلام

وأكملت: أكتر من اللى احنا فيه نحس؟ يعنى القطار هيولع؟ يا ما قطارات ولعت.

قال: على فكرة كل ما يقال عنى له وجه آخر، البداية أننى ولدت شهر يونيو عام النكسة... هل أنا الوحيد الذى ولدت فى هذا الشهر فى مصر؟

قلت له: والنكسة كان أثرها على الوطن العربى.... كدا انت الوحيد اللى اتولدت فى الوطن العربى.

أبى مات فى الحرب شهيد.... يعنى فى الجنة... واحنا بنقبض معاش، وأبى كان لا يجد قوت يومه قبل الحرب، خرجت إلى الدنيا أبى راح الجنة والظروف اتعدلت لاخواتى.

ومن هذا اليوم كل مصيبة تحدث فى البلد أنا السبب، لو واحدة اتطلقت أنا عديت امام بيتها ... عارف عبارة السلام اللى غرقت انا السبب لأن واحد صديقى كان باعت لى فيزا فيها... أما سبب شهرتى أننى كنت فى يوم فى السوق ومعى خروفين ... بعت واحد بمائتين جنيه... ورقتين... وانا افكر فى محبوبتى... احلم بعيونها.... كانت عين الخروف الآخر على الفلوس التى بيدى، وانقض عليها انقضاضا والتهمها... وبلا شعور كانت العصا على مؤخرة رأس الخروف، وهى ضربة واحدة، وضاع كل شئ بهذه الضربة فلوس اللى اتباع، والمرحوم.

لم أتمالك نفسى من الضحك، وقلت له: ورجعت البلد ازاى؟

قال: عادى... قضاء وقدر... مش ممكن ابيع الخروفين واتسرق؟!

وكل هذا لم يؤثر على، وكانت المصيبة عندما تقدمت لخطوبة من أحب رفض أبوها رغم أنه عمى، وأنه رجل متعلم، وهى أصرت

وتحدت أهلها وكل البلد، وأقسمت أنها لن تزوج غيرى، وأنا كذلك قلت لأبيها لن اتزوج غيرها.

ضحك، وقال: اسمع، علشان قعدتك معى تبقى بغرامة، انا اتنشلت وانا داخل القطار، يعنى انت هتدفع لى حق التذكرة.

قلت له: مش مشكلة، بس ياعيني على الحرامي اللي سرقك، زمان محفظتك عملت مفعولها ..أكيد عربية ضربته وهو فرحان بفلوسك.

قال مبتسماً: هولو فتحها وعرفها بتاعتي هيرجعها، حصلت قبل كده، وقعت مني المحفظة في البلد، وجابوها لي زي ماهي.

كانت ساعات السفر معه متعة، كان يحكي نوادره ويضحك رغم إحساسه بالظلم، وفيمحطة القاهرة افترقنا ولا أعلم عنه شيئاً، وصورته تلاشت من ذاكرتي.

جلسته معي في القطار تركت أثراً في حياتي لا تمحوه الأيام، هو أن تثق بنفسك مهما قيل عنك، ولا تتأثر بالناس، وأن تبتسم مهما حدث.

وصلت السيارة وكنت منتظراً، نزل السائق وفتح لي الباب، قال لي: هو حضرتك صديق الباشا؟

قلت له: صديق طفولة ، بس من سنين لم أره.

قلت له هو شغال إيه؟

قال: هو بعد ما رجع من الخليج فتح شركة استيراد وتصدير، وعنده معارض سيارات، يعني مليادير، رجل محظوظ.

كانت المندرة مكتظة بالناس، لمحنى قادماً، هرول ناحيتى وأخذنى بالأحضان.

قال: عندما كنت معى فى القطار، ودفعت لى ثمن التذكرة، أقسمت بينى وبين نفسى ألا يشهد على زواجى من بنت عمى غيرك.

كان الماذون والشهود و وكيل العروس (والدها) فى انتظارى.

أخذ المأذون بطاقتى، ونظر إليها، وقال: أنت أيضا من مواليد النكسة؟!

ضحك أبو العروس، وقال: لولا النكسة لم يكن العبور.

تذكرة سفر

كانت المرة الاولى لى أنا واصدقائى لزيارة هذه المحافظة الساحلية،

وأول شئ فكرنا فيه الذهاب إلى أقرب مطعم سمك، وما إن فرغنا من الأكل حتى وجدنا بعض المشروبات المثلجة دون أن نطلبها اعتقدنا أنها عادة متبعة فى هذه المحافظة، تناولنا المشروبات بعد الأكل، ناديت النادل وسألته عن حساب الأكل والمشروبات، قال بهدوء وابتسامة: الحساب خالص.

نظرت إلى أصدقائى، وجدت الدهشة تعلو وجوههم.

قلت له: خالص ازاى؟ مفيش حد منا دفع.

قال: فيه واحد كان قاعد وسألنى حساب الضيوف دول كام قلتله ودفع ومشى.

قلت له بغضب: احنا اول مرة نيجى هنا ومفيش حد يعرفنا، خد حسابك، احنا مش فاضيين، احنا عندنا شغل.

قال بابتسامة: يعنى اخد الحساب مرتين؟

سألت أصدقائى: انتم بتعرفوا حد فى البلد دى؟

قالوا: لا.

قلت للنادل: الراجل دا من البلد هنا؟ انت تعرفه؟ قال هو من البلد بس قال لى متعرفهمش أنا مين، هو ترك لكم هذه الرسالة.

قرات الرسالة على أصدقائى بصوت مرتفع

منذ سنوات كنت فى زيارة للقاهرة، وسرقت منى كل نقودى، ولم يكن معى ثمن تذكرة العودة، رغم شعورى بالجوع طوال اليوم كنت أستحى أن أسال أحداً، وقابلتك ولا أدرى لماذا اخترتك أنت بالذات،

واقسمت لك أننى ابن ناس ولكن سرقت نقودى وأريد أن أسافر.

وقبل أن أكمل قلت لى: ثمن التذكرة كم؟

قلت: عشرة جنيهات.

أعطيتنى خمسة عشر جنيهاً، وأظنها كل ما كان فى محفظتك، وطلبت منك أن تعطينى عنوانك أو رقم تليفونك، فتركتنى وانصرفت، ولم تنظر إلى وجهى، ولو قابلتنى فى نفس اليوم لما عرفتنى.

ولكنى لم أنس وجهك رغم مرور أكثر من عشر سنوات، أنت الآن تسأل نفسك: لماذا لم أقابلك؟

أنا أعلم أنك لن ترضى أن أرد لك الجميل بهذه الصورة، وربما تنكر أنك الذى قابلته أنا منذ عشر سنوات.

ثانياً أردت أن تشعر بنفس الإحساس الذى انتابنى، وأنا فى عنقى دين لرجل لا أعرفه.

كنت أبحث عنك فى كل الوجوه، وكلما أقدم معروف لأحد أقول: ربما يكون قريبك.

لقد تعلمت منك أن أجمل شئ أن تفعل الخير لمن تعرف ومن لم تعرف.

أنا لم أعرف اسمك، ولن أصفك، صاحب المعروف واحد منكم أنتم السبعة، هو يعرف نفسه ولكنه سوف ينكرمثلكم.

إذا احتجتم إلى أى شئ فى هذه المحافظة أثناء زيارتكم اطلبوها

من صاحب المطعم، وهو سوف يخبرنى وسوف أنفذها مهما كانت.

غادرنا المحافظة وكل منا يفكر فى صاحب تذكرة السفر.

الثعبان

كالعادة كنت أنتظرها على النهر وقت الأصيل، كانت تأتى بحجة ملء الجرة.

لا أدرى سبب التغير المفاجئ.. أين حبها ؟ أين وعودها ؟ ماذا حدث؟ كنت على يقين أنها لن تأتى، ولكنى كنت أنتظر.

قلت لك لن تأتى ... هكذا قال لى جارى الشاب وهو يربت على كتفى بابتسامته الصفراء ، ثم أكمل : أنت جارى ولابد أن أحذرك ، إنها فتاة غير محترمة ، إنها على علاقة مع أكثر من واحد ، أعرف أنك لا تصدقنى، أنا كنت أقابلها فى الكوخ ، لم أعلم انها تقول شعراً، قالت لى: غريق فى بحر عينيك فمد حبيبى لى يديك.

قلت له: أنت على حق، سوف أطوى هذه الصفحة من حياتى.

كانت هذه الأبيات قلتها لها من قبل، هكذا أقنعنى جارى بالدليل القاطع.

كانت الشمس قد توارت خلف الجبل، وساد الظلام، وسكنت البلابل التى كانت تغرد وتحوم فى الفضاء، وبين الغاب لم أسمع سوى نعيق الغربان فوق شجرة الجميز.

لا أدرى متى تركنا المكان، وأى طريق سلكناه إلى كوخه، كانت الأفكار تتزاحم فى رأسى: ماض ملعون، وحاضر ومستقبل غامض. فجأة صرخ جارى: ثعبان ، أنا دوست ثعبان.

كانت بيده عصا، أخذ يضرب الثعبان والثعبان يزحف بسرعة، كانت عدة ضربات قد لحقت بالثعبان ولكنه اختفى.

أحضر الكشاف من الكوخ وبحثنا عن الثعبان فلم نجده، قال جارى وهو يرتعد: (سوف ينتقم منى الثعبان).

كان اعتقاداً سائداً أن الثعبان ينتقم من مؤذيه ولو بعد عدة سنوات. كان جارى فى حالة يرثى لها، أخذته إلى البيت، وأخبرت أباه بما حدث.

قال له أبوه: سوف أحضر لك غداً الحاوى ويخرج الثعبان, المهم أن تغلق الحجرة عليك ولا تفتحها من خلف الباب.

قال لى: أنا كذبت عليك، وأبيات الشعر أنا بالصدفة قرأتها من كراستك، أنا كنت عاوزها وهى رفضت وشتمتنى، وقلت لها إنك بتحب واحدة ثانية، وقلت لها أبيات الشعر، سامحنى.

لولا حالته التى كان عليها كنت سوأطبق على عنقه أو أحطم رأسه. وفى الصباح أحضرنا الحاوى، وذهبنا إلى

الكـوخ، ووجدنـا الثعبـان

ميتـاً والنمـل فوقـه، قـال الحـاوى: أنـا قلـت لكـم لـو الثعبان بـه أكثـر مـن جـرح فسـوف يموت.

جرينـا مسـرعين نهنـئ جـارى ، أخذنـا نضـرب بـاب الحجـرة فلـم يفتـح ، كسـرنا بـاب الحجـرة، ووجدنـاه ميتـاً والحبـل تحـت قدميـه.

والآن انتظـر حبيبـتى علـى النهـر وقـت الأصيـل، وعنـدى يقـين

أنهـا سوف تأتى غدا أو بعد غد.

الكوبرى

لقد بكيت بكاءً مراً، كأن العالم قد خلا من الكلمات والناس، لقد حاول الجميع إسكاتى فلم يفلحوا، كان أقاربى مندهشين من شدة حزنى على موت خليل المراكبى رغم أنه غريب، ولاتربطنى به صلة قرابة.

كان رجلاً مسناً، مهنته نقل الناس من البر الغربى إلى البر الشرقى وبالعكس مقابل حفنة من القروش، لقد ورث هذه المهنة عن أجداده.

كان يحلو لى الجلوس معه تحت شجرته بالبر الشرقى، لم أر اكرم منه، يعرف الغرباء الذين يدخلون البلد، ولايأخذ منهم أجرة، بل يحلف بالطلاق أن يشربوا معه الشاى، أو يقدم لهم ما عنده من طعام وهوغالباً ما يكون أرغفة شمسية وقطعاً من الجبن القريش.

الكل يعرفه فى قريتنا والقرى المجاورة.

معرفتى به كانت منذ زمن، عندما تشاجرت مع أبناء سليم النجار.

وضربت أحدهم فى رأسه، وأقسم سليم النجار أن يذهب إلى النقطة فى البرالغربى وعمل محضر.

سبقته ناحية المعدية، وأخبرت عم خليل، وطلبت منه ألا «يعديه» إلى البرالغربى.

قال لى: روح ادَّس ورا الشجرة اللى هناك.

واختبأت، وجاء عم سليم والشرر يتطاير من عينيه، وقال بغضب: قوم عدينى

قال له بهدوء: اقعد ياحيوان، فيه حاجة اسمها السلام عليكم .

قال له: عم خليل، مش وقت هزار، أنا لازم احبسه ابن الكلب.

قال له عم خليل: أنا سمعت بالمشكلة، دا ابن سافل، لازم يتأدب. اقعد اشرب الشاى وانارايح معاك، أول امبارح أخد المركب بيتفسح بيها ابن العويل.

كنت أسمع كلامه وقلبى يكاد يتوقف، جلس سليم وشرب الشاى و وأخذ عم خليل يدخل من موضوع إلى موضوع، ونسى سليم إلى أين هو ذاهب.

وعندما اطمأن عم خليل له قال له: إيه رأيك فى حجر معسل؟ بس المعسل اللى معايا خلص.. انت معاك؟

قال سليم: لا ... لوفيه عيل هنا كان راح جاب من الدكان.

وفجأة نادانى وقال: تعال يا ابن الكلب بوس راس عمك وخد منه نص جنيه وهات باكو معسل.

بسرعة أخرج سليم نصغ جنيه، ولم يتكلم، وأخذ يضحك وقال عم خليل لى: هات لك بالباقى حلاوة.

قال له سليم :عارف انت لومكان ياسر عرفات كان أخدت تل ابيب مش القدس بالمفاوضات من اسرائيل.

منذ سنوات قررت الحكومة إقامة كوبرى يربط قريتنا عبرالنيل بالبر الغربى، كنا نظنه وعداً من وعود ما قبل الانتخابات، وصحونا ذات يوم، وجدنا الأوناش وآلات الحفر على الشاطئ، وأقاموا جسراً مؤقتاً لعبور المشاة والدواب.

فرح الناس بهذا الجسر، ولم يفكر أحد بعم خليل الذى انقطع مورد رزقه.

كان يجلس تحت شجرته طوال اليوم وحده، حتى أصدقاؤه الذين كانوا يجلسون معه هجروه. كانت تمر أيام والمركب مربوط بالبرالشرقى، وعند الغروب يعود إلى بيته.

عرضت عليه أن يبيع المركب ويتاجر بثمنه، غضب منى ولم يكلمنى عدة أيام اقترحت على مهندس المشروع أن يعينه

خفيراً للجسر، وذهبنا إليه، وقبل أن يتكلم المهندس نظر إلىَّ، وقال: صب للمهندس شاى. وتركنا وجلس على مقدمة المركب.

يوم موته، ذهب إلى المعدية، وجلس على مقدمة المركب، ونام. انخلع هلب المركب، وأبحر المركب مع التيار ووقف بجوار الجسر.

ظن أحد المارة أنه نائم، واقترب من المركب ليوقظه ، ولكن وجده قدفارق الحياة، ونقل جثمانه إلى البيت، وظل المركب مربوطاً تحت الجسر.

بعد أيام انهار الجسر فوق المركب، وعدلت الحكومة عن إقامة الكوبرى.

الكابوس الأخير

تعبت، أريد أن أنام، أريد أن أحلم كبقية البشر، منذ سنوات وأنا أعيش في جحيم. كل ليلة كابوس بملامح مختلفة، أحيانا أجد نفسي وسط حريق في سفينة تغرق-- أو أرى نفسي أسقط من جبل ---أو سجيناً داخل عمارة تنهار ---أو في قطار ينقلب.

لم أترك طبيباً أومحللاً نفسياً أو شيخاً أو دجالاً إلا وذهبت إليه.

كانت الحصيلة كلمات جوفاء : اللا شعور، قسوة الأنا الأعلى... الشعور الدفين ...الذنب... عدم الأكل قبل النوم... ضع هذا الحجاب تحت الوسادة.... كل هذا بلا فائدة سوى سخرية الأصدقاء عندما يجدونني سهران يقولون: هو الليلة مش وراك كابوس؟

كالعادة القراءة قبل النوم أقصد الكابوس، كنت أقرا رواية من الأدب العبرى مترجمة بعنوان «حنا ميخائيل»، كنت أخبئ هذه الرواية من الأصدقاء خوفاً من اتهامي بالتطبيع؛ فقد دخلت معهم في حوارات عقيمة لم نصل

إلى حـل، لم يقنعونـى بالبعـد عـن أدب الخصـم، ولم أقنعهـم بأنمـت لابـد أن نعـرف كيـف يفكـر خصمنـا.

لم أكمـل الفصـل الأول مـن الروايـة، ورحـت فـى سـبات عميـق، وإذا أنـا

فى مركب شراعى يشق البحر، ومعى رجال لا أعرفهم.

فجـأة عواصـف رعديـة وبـرق وأمطـار ... ينكسـر الشـراع، يتحطـم المركـب، يغـرق الرجـال، واحـداً تلـو الأخـر... التيـار يجرفنـى ... أسـتغيث... الصـوت لا يخـرج مـن حلقـى... أجـد بالقـرب منـى لوحـاً خشـبياً أتشـبث بـه، لا أدرى كيـف وجـدت نفسـى فـوق اللـوح، ولكنـه يسـير بـى عكـس التيـار، إنـه تمسـاح... أسـتغيث ..الصـوت لا يخـرج... مكتـوم... التمسـاح يقـترب مـن البر، وإذا بكلبـى المدلـل يمد لى فرع شـجرة، أمسـك بـه ويجذبنـى ناحيـه البر، يهـز ذيلـه، ويبتسـم، تـبرز أنيابـه.

إنـه ذئـب، ليـس كلبـى... يعـوى.. تلبـى الذئـاب نـداءه... يجتمعـون... يلتفـون حـولى... العيـون تلمـع وسـط الظـلام.

الصوت لايخرج... النجدة... لا مجيب.

تضيق دائرة الأنياب تخرج شـرراً كألسـنة اللهب... تحيط بى.

عـواء الذئـاب يرتفـع... بالقـرب منـى كانـت شـجرة فرعهـا مائـل... بحركـة أكروباتيـة تسـلقت الشـجرة، وإلى أعلـى الشـجرة أجـد الأمـان أمسـكت فـرع الشـجرة بكلتـا يـدى، وأنـا

أرتعش، تحسسته، وجدته أملس ناعماً يتحرك، إنه ليس فرعاً، إنه ثعبان.

كل الأفرع تحولت إلى ثعابين.. ماذا أفعل؟ كان فحيح الثعابين يرعبني... ماذا أفعل؟ الثعابين حولي، والذئاب من تحتي، لابد أن أخاطر، وإذا لم يكن من بد فلن أموت جباناً.

نزلت وأمسكت بفرع شجرة، وأخذت أصرخ في الذئاب، وأضرب في كل الاتجاهات، هربت الذئاب

ولم أجد تحت الشجرة سوى أطفال يلعبون، ابتسموا... وابتسمت لهم.

على النايم

كلوب يتيم باهت الضوء يتثاءب، معلق فى شجرة اللبخ التى تتوسط الساحة، أمام المندرة الكبيرة التى تتوسط النجع.

أنا قادم من نجعنا بعد العشاء لنتسامر مع أولاد عمى، لمحت على «النايم» يجلس تحت الشجرة، يتثاءب أيضا رغم أن الليلة فرح طهور ابنه السنوى.

لا تستغرب إن قلت لك إن على النايم منذ عشر سنوات يقيم فرح طهور ابنه، ولكن ما يدعو إلى الاستغراب أن على النايم ليس عنده ولد أصلاً لأنه لم يتزوج أصلاً

إنه رجل غريب عن البلد، جاء منذ أربعين سنة إلى قريتنا للعمل باليومية مثل العشرات الذين يأتون إلى قريتنا من المحافظات المجاورة، ليس لأن أهل القرية أغنياء، ولكننا نحب تمثيل دور الإقطاعيين.

كان فى شبابه يعمل، ولأنه يحب الكسل والنوم إثر النوم على العمل

كان يذهب هنا وهناك من أجل الأكل، ولأن أهل القرية كرماء، ظل سنين بلا عمل.

وكان في الأفراح يذهب إلى الفرح من الظهر، يجمع الصواني، وينظم الدكك، ويتغدى ويتعشى أكثر من مرة، ويشرب أكثر من عشرين كوباً من الشاى.

حينما رآني قادماً نحوه، ظن أنني جئت إلى الفرح، سلمت عليه، وقلت له: ألف مبروك إن شاء الله تفرح بجواره.

قال لى (بغضب): شايف يا أستاذ... أهل البلد بيعملوا فيَّ إيه؟ ولا واحد جاء الفرح ... هو علشان انا غريب؟ أناعمرى قصرت مع واحد، ولا فرح في البلد اتأخرت عنه، قلت: له يا ابوالنوم...الليل لسه طويل... وإن شاء الله كل البلد هتيجى.

قال: لما نشوف.

قلت له: جبت قلم ودفتر؟

قال: لا أنا مش عاوز نقوط... أنا عاوز الناس.

قلت له: ربع ساعة.. هاجيب قلم ودفتر.

ذهبت إلى بيت أولاد عمى، وجدتهم يجلسون في الديوان، وأكثر من كلوب معلق في البيت

قلت لهم: يا نجع ناقص، الراجل عامل الفرح عندكم، ولا واحد يروح يقعد معاه؟ والله العظيم لو ما قمتم ما اخلى كلوب ولا لمبة جاز فى البيت.

سمعت صوت امرأة عمى تقول (بسخرية): تاكل والا أكلت فى العرس؟

قلت : ما انت نجع كريم.. هاتى كراسة وقلم.

أحضرت القلم والكراسة، وقالت :خد اخدك ربنا، ماوراك غير وجع الراس، هتشترى ليه ناس؟

قلت: البركة فيكى يا عمة

قالت بغضب: أنا اروح أجيب ليك الناس من بيوتها يا ماكل أمك؟ جنيت ياك ؟

ضحك أولاد عمى، وقال ابنها البكر: انا فهمت تلتيها... قالت: يعنى صرختين تلاتى.

قال ابنها الصغير: لو ابويا عرف هيطلق امى ويخلى ابوك يطلق امك يعنى تخرب بيت امك وامى علشان على النايم؟

قلت: مين هيعرف هى فى الأوضة وهتديها

قلت لأولاد عمى: تعالوا نقعد معاه، وانا هامسك الدفتر وكل اللى يطلع خليه ينقط.

وقبل أن نجلس، كان كل النجع أمام المندرة، والكل يسأل عن مصدر الصراخ.

اقتربت منى خالتى ناعسة صاحبة أقوى صرخة فى البلد، وقالت فى أذنى: دى صرخة مراة عمك فيه ايه؟

قلت لها بصوت خفيض: على النايم هيطهر ولده.

ضربت على صدرها وقالت ياساتر يارب... وصرخة واحدة كانت جميع النجوع فى الساحة، فهم الكبار اللعبة، وكل منهم أخرج من جيبه بضعة قروش، وأحضر الشباب «دكك وكلوبات»، وأحضر كل واحد من أهل النجع من بيته براد شاى، وتطوع أحد المنشدين بإحياء الليلة، وفى النهاية أعطينا على النايم النقوط والدفتر، وكان المبلغ بالنسبة له ثروة، واقترح عليه البعض شراء بقرة.

قال: مين اللى هياكلها ويشربها؟ أنا هاتاجر بالفلوس دى.

وتركناه يعد فى الفلوس، ويضعها فى جيبه، ثم يخرجها ويضعها فى الدفتر، ويضع الدفتر تحت الوسادة، وفى الصباح وجدنا على النايم نائماً تحت الشجرة... والدفتر ممزق.

مأزق امراة

كانت ليلة من ليالى الشتاء الباردة، رغم أن البرد كان يعض بقسوة أطرافى. كنت أجلس فى الشرفة، أنظر إلى القمر الذى يستقر على مئذنة الجامع الغربى.

كان السكون يخيم على الشارع، رغم أن ليالى القاهرة كنهارها، ولكنه البرد القارس، كنت أفكر فى قريتنا القابعة فى أقصى الصعيد مشكلة من عشرات المشاكل التى تواجهنا، والتى نبحث لها عن حلول مؤقتة «مشكلة الزواج المبكر».

منذ جرمت القوانين الزواج دون العشرين، تحايل أهل القرى بإشهار الزواج دون كتابة عقد، وبعد أن يتم العروسان السن القانونية، يتم العقد الرسمى.

وفى بعض الأحيان يتم الانفصال قبل الزواج الرسمى، ولكى يتم الطلاق لابد من انتظار الزواج الرسمى، وربما يتعنت العريس فى الزواج من مطلقته.

أفقت من التفكير على رنين التليفون، رفعت السماعة دون النظر

إلى الشاشة لعدم وجود خاصية إظهار الرقم، كان على الطرف الآخر صوت أنثوى رقيق ومرتجف، قالت وهى تتلعثم:

أنا آسفة ؛ لأننى طلبتك فى هذا الوقت، أنا طلبت هذا الرقم بشكل عشوائى.... أنا فى مشكلة.

قلت بغضب: يا آنسة لو عاوزة تتسلى أنا مش فاضى.

قالت: أرجوك.... والله العظيم أنا فى مصيبة... أرجوك اسمعنى... انا لازم اكلم حد

استشعرت الصدق فى حديثها، قلت: تفضلى وباختصار.

قالت: حاضر، أنا على علاقة مع شاب محترم علاقة شريفة، تقدم لخطبتى أكثر من مرة، ولكن أبى رفض لأننى رفضت الزواج من ابن عمى.

منذ شهرين كنا أنا وهذا الشاب، وهو زميلى فى العمل فى مامورية بمحافظة مجاورة، وتزوجنا.

قلت: أعتقد أن الزواج بدون موافقة ولى الأمر باطل.

قالت: أنا لست قاصراً، أنا عندى خمس وعشرون سنة.

ولكن المشكلة أن أبى قال لى أمس: إذا تقدم زميلك مرة أخرى سوف أوافق

قلت: إذاً لا توجد مشكلة.

قال: إذا أخبرت أبى فسوف يقتلنى... هل يجوز أن نكتب عقداً آخر؟

قلت : لا طبعاً، لأن العقد الأول مسجل على الكمبيوتر وسوف تصبح قضية تزوير.

ثم أكملت بفرحة: أنا عندى حل ممتاز، اتفقى مع المأذون ألا يسجل هذا العقد.

قالت وهى تضحك بسخرية: المصيبة أن الماذون عمى الذى رفضت ابنه.

قلت لها يوجد بالشقة المجاورة محامى «عقر»، سوف يجد لك حلاً،

ووضعت السماعة.

وقبل أن أفتح الباب تذكرت أننى لا أعرف رقمها، وهى طلبت الرقم عشوائى، انتظرت... ربما تتذكر الرقم وتتصل.

كان القمر قد توارى خلف المبانى، واشتدت قسوة البرد، ظللت انتظر شمس الصباح ربما أشعر بالدفء.

آخر رسالة

كان الصمت يخيم على المكتب ، الجميع ينظر فى مقعده الخالى. بالأمس كان يجلس عليه وكان آخر من غادر المكتب.

منذ سنوات دخلنا نحن الاثنان معاً إلى مقر العمل، ولكنه ذهب اليوم إلى المقابر وحده.

كان صوت البوسطجى قنبلة سقطت على المكتب وهو ينادى (رسالة يا أستاذ محمد من الحبايب..إن شاء الله تكون آخر رسالة)

انفجر الجميع بالبكاء، دخل عم صالح البوسطجى المكتب ، وجدنى الوحيد الذى لا يبكى رغم أن الحزن كاد يقتلنى، سألنى وهو يتلعثم ويشير إلى مقعده : الأستاذ محمد فين ؟

لم أجب.

كرر السؤال عدة مرات ، أجبته : البقية فى حياتك يا عم صالح؟

جلس على أقرب مقعد.

قال : أنا ما .....

فجأة وضع الرسالة على المكتب، وانصرف مسرعاً، وترك لنا مصير الرسالة. بعد أن جفت دموع الزملاء قال البعض: نعطى الرسالة إلى أهله.

ولكن خفنا أن تكون بها بعض الأسرار، فاتفقنا على أن نعيد الرسالة إلى المرسلة، ووقع علىَّ الاختيار بأن أسافر وأعيد الرسالة بصفتى صديق المرحوم، وأعرف قصة صاحبة الرسالة.

كانت قصة حب رائعة، بدأت فى القطار، وتبادلا الرسائل، واتفقا على الزواج، لكن الأهل رفضوا هذا الزواج بحجة أنهما غرباء ، كل واحد من محافظة.

لم أشعر بأننى داخل القطار، بل بأن القطار يسير على قلبى. كنت أود أن يحدث لى مكروه لكى أجد عذراً لعدم القيام بهذه المهمة الشاقة.

وصل القطار إلى المحطة، عزمت على أن أذهب إلى مقرعملها، وأعطيها الرسالة، أو أعطيها لإحدى زميلاتها.

فجأة وجدت أخاها أمامى ، كنت أعرفه لقد زرناهم من قبل أنا والمرحوم.

عندما رآنى أسرع إلى، بعد السلام قال : الحمد لله انى قابلتك، انا كنت مسافر عندكم.

ظننته عرف بموت محمد، قلت له : البقية فى حياتك.

وضع يده فى جيبه وأخرج رسالة وقال : هذه الرسالة أرسلها محمد منذ أيام بعد وفاة أمل وأنا لم أفتحها، أرجوك أن تبلغه أننا وافقنا على الزواج، لكنها لم تتحمل الفرحة وماتت.

وانصرف مسرعاً.

لم أصدق ما أسمع، كان القطار قد غادر المحطة، بلا شعور كانت يدى تمزق فى الرسالتين وأقذف بالوريقات من نافذة القطار، كانت الوريقات ترفرف كأنها فراشات بيضاء.

كلب إنجى

كان ضياع كلب إنجى حدثاً فريداً فى قريتنا، فقد أجل الحاج عويس فرح ابنه حتى يتم العثور على كلب إنجى ، وهجر أصحاب المعاشات شجرتهم التى يلعبون تحتها الطاولة، وذهبوا إلى دوار فتوح أبو الدهب والد إنجى المليونير الشهير، الجواهرجى حالياً، وقصاص الحمير سابقا.

لا أحد يعرف كيف هبطت عليه هذه الثروة، والكل يعرف أنه هرب من القرية منذ عشرين سنة عندما اتهم بسرقة حمار العمدة .

حتى الشباب الذين يتسكعون فى الطرقات، ويجلسون فى حلقات السيجة، تفرقوا للبحث عن كلب إنجى.

حتى مدير المدرسة، أمر التلاميذ بالخروج للبحث عن كلب إنجى.

قال لنا مدير المدرسة: سوف نذهب لتأدية واجب العزاء فى والد فتحى المسلوب.

علماً بأنه رفض أمس ذهابنا لتشييع الجنازة، وقال: العمل أهم من الواجب.

ولكن وجدنا مندرة المساليب خاوية، فالكل ذهب إلى دوار أبو الدهب لمواساته فى هذا الحدث الجلل.

ذهبنا نحن أيضا لدوار أبو الدهب، كان الدوار مكتظاً بالناس: العمدة، والمشايخ، وأعيان البلد.

استدعى أبو الدهب أحد العرافين، فقال: الكلب فى بئر عميقة، وإذا لم يخرج من البئر قبل المغرب فسوف يموت.

انطلق الشباب للتنقيب فى آبار القرية، قال لها أحد (الطرقيين): اذهبى إلى مقام الشيخ إدريس، دا بركة وكل اللى يقصده ينول مراده.

وبالفعل ذهبت إنجى إلى مقام الشيخ إدريس، وخلفها طوفان من البشر، دخلت المقام بمفردها، وبعد لحظات خرجت، وجهها مشرق مبتسمة، وقالت: الكلب موجود فى دورة المياه بالمدرسة القديمة، الشيخ قال لى كده بنفسه.

وتحرك الموكب بقيادة إنجى «الملاك الصغير»، كما أخبرنا الشيخ مرسى مدرس اللغة العربية بأن كلمة إنجى فارسية معناها الملاك.

وعادت إنجى تحمل كلبها المدلل وقالت لأبيها: الكلب عاد بسبب بركة مقام الشيخ إدريس، أنت لازم يا دادى

توسع المقام وتزرع حواليه جنينة.

وافق الوالد، وقام الشيخ (الطرقى) بإلقاء خطبة عن فضل أولياء الله. قام المدير وتكلم عن كرامة الأولياء، رغم أنه أمس كان يقول: إن المقامات لبعض أئمة الشيعة فى العهد الفاطمى، ثم أكمل: أنا وهيئة التدريس رايحين دلوقتى نشكر الشيخ إدريس نشيل ليه الفاتحة. وتوجهنا إلى الشيخ إدريس وقرأنا الفاتحة، ثم انصرف المدير ومن معه وبقيت أنا أقرأ فى اللوحة الرخام الموجودة فى جدار المقام.

لفت انتباهى حركة داخل التابوت، تواريت خلف شجرة لبضع دقائق، ثم خرج من التابوت ربيع حرامى الطيور ينفض عن هدومه

التراب، اقتربت منه، وهم بالهروب، ولكنه تراجع وبدا عليه الهدوء

رغم أنه فزع لما رآنى.

قلت له: هو انت اللى؟

قال: أنا اللى إيه؟ أنا كنت نائم.

قلت له بحزم: أخذت كم من الست إنجى ؟

قال: إنجى مين؟

قلت له: بص أنا لا يهمنى إنجى، ولا كلب إنجى، أنا عاوز أعرف اللى حصل، ووعد منى مفيش حد حيعرف حاجة.

قال: بصراحة أنا اللى سرقت كلب إنجى، وخبيته فى المدرسة القديمة وجيت أنام هنا زى كل يوم، بالليل ابعت احد يجيب الحلوان وارجع الكلب.

فجأة، لقيت الست إنجى بتدخل المقام، وتعيط للشيخ علشان الكلب ، كلمتها على انى الشيخ وقلت لها : اتبرعى للشيخ بـ ٥٠٠ جنيه

وهو يقولك الكلب فين.

قالت: اهم ٦٠٠ جنيه.

قلت لها: ارميهم فى التابوت، الكلب فى المدرسة القديمة، اللى صعبان عليا انى ضيعت عمرى فى سرقة الطيور.

بعد أيام بدأ أبو الدهب فى توسيع المقام، وحوله أهل القرية، وربيع الحرامى يمسك بيده المسبحة، ويرتدى جلبابه الأبيض وطاقية شبيكة، ينصح المهندس بعدم تضييق التابوت وتوسيعه.

الاستغماية

قريتنا جزيرة وسط النيل، ونجعنا شبه جزيرة تحيط به الترع من ثلاثة جهات.

كانت لعبتنا المفضلة ونحن أطفال حرب النجوع، كنا نهجم على أى نجع مسلحين بجريد النخيل وأفرع الشجر والطوب وأكياس التراب، دائما تكون المعركة بعد المغرب.

أطفال نجعنا يمتلكون أكبر رصيد من العداوات بين النجوع، وله تاريخ حافل بالانتصارات.

قال زعيمنا جابر : الليلة الهجوم على نجع الشيخ موسى.

اندهشنا من قول جابر؛ لأن أقاربه وأصدقاءه من هذا النجع، ودائما ما كان يرفض محاربة نجع الشيخ موسى.

قال: أنا أعرف انكم مستغربون، لكن العالم تغير، العولمة لا تعترف بالأقارب.

لم نفهم كلمة العولمة، ولا هو أيضا، ولكنه سمعها من أخيه الصايع بتاع السياسة والجرايد والكتب كما يصفه أبوه وأهل القرية.

قمنا بالهجوم على نجع الشيخ موسى، كانوا يلعبون لعبة الحجلة وسط النجع .. صاح طفل منهم : التتار .. التتار .

هكذا يطلقون علينا، تفرقوا بين الدروب والبيوت، لم نظفر بأحد منهم. كانت المفاجأة عند العودة فوق القنطرة، وجدنا شباباً أكبر منا سناً، ومعهم خراطيم، انهالوا علينا بها، ومن لم يضرب قفز فى الترعة.

عدنا كلنا إصابات وملابس مبلولة إلا جابر.

لم نتكلم ولم نتحدث عن أسباب الهزيمة، لم نفعل شيئاً سوى تسمية هذه المعركة (معركة الخيانة)، ووضعنا نهاية لحرب النجوع، وقمنا برمى الأسلحة فوق المندرة، وقررنا أن نلعب الاستغماية، كون جابر فريقاً، وأنا كونت فريقاً آخر، اختار جابر أن يكون فريقه العساكر ونحن الحرامية.

قال جابر متحدياً: لو قبضت عليك سوف أضع رأسك فى الترعة، وإذا لم أقدر فسوف آتى غداً وأنا لابس طرحة أمى.

هربنا، وتوغلنا بين الحقول وكروم النخيل، اتجهت ناحية النهر ، تعقبنى جابر، اختبأت بالقرب من كوخ عم مسرور المراكبى.

سمعت صوتاً داخل الكوخ، على ضوء لمبة جاز رأيت امرأة ورجلاً شبه عاريين.

أخذت أنظر من بين أعواد البوص، فجأة اندفع جابر داخل الكوخ وأمسك بالرجل يظنه أنا، صرخت المرأة وأخذت تلطم على وجهها:

أنا اتفضحت، وجوزى كبير البلد، لو عرف يقتلنى.

قال الرجل: احنا نرميه فى النيل، ويموت سره معاه.

لمحت ملابس المرأة بجوار اللمبة قفزت أمسكت بها وقلت للرجل: لو ما سبت جابر أنا أروح النجع واسيبك عريان كده.

قالت المرأة وقد تغير وجهها من الخوف: حرام عليك ياولدى انت عاوز تفضحنى؟!!! خذ الذهب دا وعشرين جنيه .. بس اوعوا تقولوا لحد باللى حصل.

فى هذه اللحظة كان الرجل يقترب منى، أراد أن يمسك بى ولكنى أفلت منه، ترك جابر الذى خطف ملابس الرجل، وجرى الرجل خلفى، ولكنه اكتشف أنه عارٍ، وتراجع.

لحق بى جابر وقال: خلاص أنا مش لاعب، أنا عاوز أقولك حاجة وقفت قال لى انت عارف مين الست دى؟

قلت له: لا، بس أنا عارف الرجل قال لى من هو؟

قلت له: لما تقول اسم الست.

لم نعد نلعب، ومرت سنوات، وكلما قابلته اسأله عن اسم الست، يقول لى: قول أنت الأول اسم الرجل.

عاهة

كنت فى زيارة مريض بمستشفى عين شمس التخصصى، كانت سيارات الإسعاف تنقل المصابين من ميدان العباسية أثناء المصادمات بين القوات المسلحة و بين من؟

لا أدرى.. أولاد أبو اسماعيل؟ ... ٦ابريل؟ بلطجية؟

كان محمولاً على نقالة مغطاء بملاية بيضاء تغير لونها إلى اللون الأحمر، كنت أسمع أنينه عندما أنزلوه من سيارة الإسعاف.

نظرت إليه، عرفته، ولكن ربما يكون شبيهاً له، ومن بين الأنين سرق نظرة إلىَّ، وابتسم.

عرفته، نعم هو صاحب الموز، لا نعرفه إلا بهذا الاسم.

أثناء محاصرة الشرطة لنا يوم جمعة الغضب ٢٨ يناير، فى منطقة الشيخ على وشارع شركس، كان يتسلل إلى منطقة بولاق أبو العلا، ويشترى لنا موزاً.

كان كالفراشة، يتنقل من هنا الى هناك، ويوزع الموز مع ابتسامته. سألته مرة: انت تبع أى حزب؟

قال: أنا لا اتبع أى حزب ولا أى حركة، أنا مصرى فقط، ولن أتغير ولن أبقى تبعاً لأحد، أنا أفعل ما أؤمن به، ولا أنتظر أمراً من أحد.

وافترقنا بعد المغرب بعد انسحاب الشرطة، ولم نلتق ثانية.

هل تغير وأصبح تابعاً لحزب ما؟

ربما سلفى... لا إنه بلا لحية.

هل يكون انضم إلى حركة ٦ابريل رغم انه كان يعارضهم؟

من رابع المستحيلات أن يكون «بلطجياً».

ولكن فى كل الاحوال قد تغير، كنت دائما أفتخر واقول إن حلاوة طعم الموز ة يوم جمعة الغضب مازالت فى فمى، أردت الانصراف، ولكن قلت: لابد أسلم عليه.

رغم غضبى منه ، انتظرت أمام غرفته، وبعد أن أفاق من أثر البنج نظر ووجدنى بجواره.

قال وهو يبتسم: أنا افتكرتك نسيتنى.

قلت له: ألف سلامة عليك.

لاحظ نبرة الحزن فى صوتى، قال: انت كنت فى زيارة مريض هنا؟ طبعا مستحيل أن تكون واقف ضد الجيش.

قلت له بغضب: اشمعنى انت واقف ضد الجيش؟

ضحك، وهو يتحامل على نفسه من شد ة الألم، وأزاح «الملاية» التى تغطى جسمه، كان يرتدى سترة القوات المسلحة.

قال وهويبتسم :أنا مجند منذ سبعة أشهر، وها أنا أخرج بعاهة... كم كنت أتمنى أن أصاب أثناء الثورة لكى أفتخر بهذه العاهة، ولكن ماذا أقول الآن؟ من الذى أصابنى؟ أخ لى كنت أدافع عنه دون أن أدرى.

وجدت الدموع تتساقط من عينى، واحتضنته، وامتزجت دموعى مع دمائه.

شكوى

مدرسة بلا أسوار، ومديرها بلا مكتب، مقره الرسمي تحت شجرة الصفصاف التي تتوسط فناء المدرسة.

كانت الساعة العاشرة صباحاً، المدرسة خالية من التلاميذ، ليس اليوم إجازة رسمية ولكنه السوق الأسبوعي للقرية.

المدير يفترش حصيرة، ويتكئ عليها ،ويضع دفتر الحضور والانصراف تحت الوسادة بجواره.

الأستاذ عبد الباقي مدرس العلوم، و الأستاذ معتز مدرس الدراسات، والشيخ شعبان مدرس اللغة العربية والمقرئ الشهير، وعم حاكم العامل.

كالعادة كل خميس يلح عم حاكم على المدير أن يقص علينا نوادره في التربية والتعليم، وتنقلاته من محافظة إلى أخرى إثر شكاوى كيدية، رغم أننا نحفظ هذه القصص عن ظهر قلب، فلا نمل من سماعها، ولا هو يمل من سردها.

قال المدير: أنا درست في أكثر من عشر إدارات، وكل إدارة أخرج منها بشكوى كيدية، وأكون مظلوماً.

قاطعه الشيخ شعبان: هذا من وجهة نظرك، ونحن نسمع منك ولا نسمع من الطرف الآخر.

ضحك المدير، وقال: تصور يا شيخ ان سبب نقلى من الوادى الجديد إلى هنا أننى لا أعرف أكذب؟ سألنى المحقق: انت ضربت المدير؟ قلت نعم، فتم نقلى.

قال عم حاكم: هو أنت ضربته ليه؟

قال المدير: بسبب ضربى ابن العمدة. ابن العمدة ضرب زميلاً له فضربته، والمدير طبعاً عاقب التلميذ الغلبان، وكافأ ابن العمدة ارضاءً للعمدة، طبعا أنا عاقبت المديربخمس غرز فى راسه.

لمحنا زائراً غريباً يقف فوق رؤوسنا، ووجهه أحمر من حرارة الشمس، والعرق يتصبب من جميع أنحاء جسمه، قال وهو ينهج: فين مكتب المدير؟

اعتدلنا ولم يجب منا أحد.

قال بغضب: فين مديرالمدرسة؟

قال المدير: بالراحة... اتكلم بالراحة... مين حضرتك؟ أنا المدير.

قال: مجدى مسعد، مدير متابعة من مكتب السيد الوزير.

قال المدير بهدوء: يا مرحب اتفضل.

نظر المتابع حوله وقال: أتفضل فين؟ هو مكتب سيادتك فين؟

قال المدير: عم حاكم هات سرير حبال بسرعة.

قال المتابع: آاااه.... يبقى الكلام اللى فى الشكاوى صح.. بعت أثاث المدرسة.

قال المدير: حصل، أنا بعت الأثاث.

قال المتابع: يعنى معترف؟

قال الأستاذ معتز: هو باع الأثاث ليه؟ مش علشان نعمل دورة مياه للتلاميذ؟ واحنا كلنا مشاركين معاه.

قال المتابع وهو يتلفت حوله: هو النهارده أجازة؟ يعنى مش شايف تلاميذ.

عاد عم حاكم وهو يحمل سرير حبال وضعه وأحضر فرشاً وفرش السرير، جلس المتابع وقال: فين التلاميذ ياسيادة المدير؟

قال المدير: النهارده الخميس سوق القرية، والعيال مش بتيجى. اروح اجيبهم من البيوت؟

قال المتابع: وباقى المدرسين فين؟

قال المدير المدرسين بيروحوا السوق يسترزقوا، تجار، هنا مفيش غير المرتب، لا دروس ولامجموعة.

قال المتابع مندهشاً: هو انت طالما علاقتك حلوة مع أهل البلد ليه بيبعتوا فيك شكاوى؟

قال الشيخ شعبان وهو يضحك: شكاوى فى المدير؟ دا شعبيته فى البلد اكتر من العمدة. هو فيه شكاوى راحت الوزارة فى المدير؟

قال المتابع: أكثر من عشرين شكوى فى شهرواحد.

قال أستاذ عبدالباقى: مش ممكن يكون من بلدنا، هو اسمه ايه؟

قال المتابع: للأسف مش كاتب اسمه، بس خطه مميز، ممكن تعرفوه احنا مش عاوزين وجع دماغ، والصحف لو عرفت الموضوع ده الوزير هيتشال فيها، خد يا مدير أنا معايا نسخة.

خطف الشيخ شعبان الشكوى، وقال: بعد إذنك يا مدير، دى كرامة بلدنا، اللى يعتدى عليك اعتداء علينا.

وما إن أمسك الشكوى، حتى انفجر بالضحك، وناولها لعبد الباقى، ثم إلى معتز، والكل يضحك بهيستريا.

قال المتابع مستغرباً: فيه إيه يا جماعة؟ الشكوى مكتوب فيها نكت؟ تمالك الشيخ شعبان نفسه من الضحك، وقال: أصل اللى كاتب الشكاوى دى هو نفسه المدير.

قال المتابع: يعنى اللى كاتب كل الشكاوى دى انت؟ ممكن تتنقل فى مكان أبعد من هنا.

ضحك المدير وقال: هو فيه أبعد من هنا؟ أنا كل مرة اتنقل من مكان أكون مظلوم بشكاوى كيدية، نفسى اكون مذنب واستحق العقاب.

قال المتابع: فين دفتر المتابعة ؟

أمسك بالدفتر، و أخرج القلم وقال بصوت عالٍ: قمنا نحن الأستاذ مجدى مسعد مدير متابعة من مكتب الوزير بزيارة مدرسة..... وجدنا المدرسة تسير سيراً حسناً، ونسبة الحضور بالنسبة للتلاميذ والمدرسين تسعة وتسعين فى المائة، وذلك بفضل مدير المدرسة، ونشكره على جهده الفائق فى الارتقاء بالتعليم فى المدرسة.

وقام بالتوقيع، ثم نظر إلى المدير وقال: أكبر عقاب لك أن تبقى هنا.

انتحار

«لم أمارس فى حياتى رياضة سوى المشى فى جنازات أصدقائى

الذين كانوا يمارسون الرياضة» بارناردو شو

قرأت هذه المقولة منذ سنين، فأصبح المشى هو الرياضة المفضلة لى بل الوحيدة. كنت أمشى بالساعات، عندما أكون مهموماً أمشى، عندما أكون سعيداً أمشى. ولا أنسى عندما هُزم فريقى الذى أشجعه هزيمة ثقيلة أنى مشيت من ميدان الكيت كات إلى التحرير ثم إلى منطقة الحسين.

كنت أمشى بلا وعى، وكثيراً ما أجد نفسى فى أماكن مجهولة.

كنت أفكر فى إجابة لسؤال: «لماذا ينتحر الإنسان؟»

هل بسبب الفقر؟ العجز؟ الإحساس بالظلم؟ أوتوصيل رسالة لشخص ما؟ وماهى أفضل وسيلة للانتحاريمكن أن تلفت النظر لقضية ما ؟

وجـدت نفسـى أسـفل الكوبـرى الدائـرى، كان الظـلام دامساً، وجـدت شـخصاً يقـترب منـى وفـى يـده آلـة حـادة، ولمحـت الشـر فـى عينيـه، فكـرت فـى الجـرى إلى الخلـف، ولكـن كان فـى الخلـف شـخص آخـر. قـال أحدهمـا بصـوت مرعـب: يامرحـب الباشـا... علـى فـين؟ بتـدور علـى إيـه هنـا؟

قلت بدون تفكير: بادور على مكان أنتحر فيه.

نظر إلى زميله، وقال بصوت منخفض: انت عاوز تنتحر بجد؟

قلت بصوت منفعل: هو فيه انتحار هزار؟

والحمـد لله، بـدل مـا انتحـر واروح النـار، البركـة فيكـم تقتلونـى وتريحونـى مـن الدنيـا.

قال الآخر بصوت مرتعش: واحنا نقتلك ليه؟

قلت وقد تأكدت أنهم فى سنة أولى إجرام:

مـش انتـم مجرمـين وقتالـين قتلـة؟ وانـا ضحيـة؟ ومعايـا فلـوس فـى جيبـى مـش هطلعهـا؟ يلـلا خدوهـا بالعافيـة.

صـرخ الـذى فـى يـده آلـة حـادة: إيـه رمـى الجتـت دا يـا عـم؟ روح الله

يسهل لك.

أعجبنى الموقف، وقلت له :انت بتمد ايدك عليا؟

ودفعته بيدى.

قال: أنا آسف، مع السلامة، بس انت عاوز تنتحر ليه؟

قلت: هو فيه إيه حلو فى الدنيا الواحد يعيش علشانه؟ ولا وزوجة ولا ولد ولاشغل، خلاص الواحد حياته بلا قيمة ولامعنى اليوم زى امبارح، وامبارح زى بكرة.

قال الآخر: ياعم بكرة تتعدل وتلاقى شغل.

ضحكت وقلت: واحد غيركم يقول الكلام ده، لو فيه شغل كنتوا اشتغلتوا انتم.

قال صاحب الآلة الحادة: احنا المخدرات اللى خلتنا نسرق.

قلت أجس نبضهم: بدل ما انتحر انا اشتغل معاكم، ويمكن ربنا يرزقنى بواحد يقتلنى.

قال الآخر بغضب: يا عم احنا مش مجرمين، احنا تانى مرة نسرق فيها، والله العظيم دى آخر مرة، مش كدا يا فتحى ؟

وقام فتحى برمى الآلة الحادة، وقال: خلاص احنا مش هنسرق تانى. وأخرج من جيبه بعض النقود وأعطاهم لى.

قلت (بغضب): أنا هاعمل إيه بالفلوس؟ أنا هادور لى على مكان تانى انتحر فيه.

قالا: والله مالاتنتحر احنا هنوصلك للبيت، وان شاء الله هندورلك على شغلانة حلال

وتحـول فتحـى فجـأة إلى داعيـة إسـلامى، وأكـد لى بعـدة أحاديـث وبعـض الآيـات أن المنتحـر كافـر وسـوف يخلـد فـى النـار؛ لأنـه اعتـدى علـى نفـس بشـرية.

ومشـيا معـى، وعندمـا اقتربـت مـن شـارعى قلـت لهمـا: خـلاص أنـا بقيـت كويـس.

قال فتحى: احنا هنتعشى معاك والعشاء على حسابى.

وأقسـما ألايتركانـى حتـى لايوسـوس لى الشـيطان بالانتحـار، وعندمـا اقتربـت مـن نهايـة الشـارع وجـدت ابنـى يجلـس أمـام المحـل، واقـترب منـى، وقـال: بابـا احنـا مسـتنينك.. الراجـل جـاب الفلـوس واخـد الكتـب، وعم حسـنى جاب الفلـوس--ووو

فغـر الرجـلان فميهمـا مـن هـول المفاجـأة، وقـال فتحـى لابنـى: هـو دا بابـا؟ ودا المحـل بتاعكـم؟

أجاب ابنى: نعم.

انفجـر الاثنـان بالضحـك، وتركانـى بـدون كلام وهمـا يضحـكان، وابنـى مسـتغرب مـن أمرهمـا وهـو يسـألنى: مـن دول يـا بابـا؟

قلت: مش عارف... الظاهر تايهين.

مسألة حساب

كانت المسألة الحسابية الوحيدة التى لم يقم مدرس الرياضيات بحلها على السبورة لضيق الوقت. تسارع التلاميذ فى مسح السبورة، أمرتهم بترك هذه المسألة، وطلبت من أحد التلاميذ أن يخرج لحلها، فلم يعرف، فخرج آخر فحلها.

تذكرت نفس المسألة عندما كنت تلميذاً بالصف الخامس، وأخرج المدرس زميلاً لى لكى يحل المسألة، ولكنه لم يعرف، ليس لأنه غبى، ولكن لأن طريقة المدرس ونظراته ولهجة صوته تجعل أى تلميذ ينسى الإجابة، بل ينسى اسمه، وربما عرف التلميذ أنه لو حلها حلاً صحيحاً، فسوف يعاقبه المدرس لأى سبب آخر.

تأخر زميلى فى الحل أعطى باقى الفصل الفرصة لكى يفكر، أخرجنى للأسف قمت بحلها، لأنه أمرنى بأن أصفع زميلى على وجهه.

ترترددت، ولكنه قال لى: إذا لم تعطيه قلماً على وجهه، فسوف أجعله هو يعطيك قلمين.

كانت نظرته لى، وأنا أرفع يدى وأضربه على وجهه أشد إيلاماُ من ضربى له .

اعتذرت له أكثر من مرة، وهو أيضاً هون علىَّ الأمر، وقال لى: لو لم تضربنى أنت كنت سأضربك، وأنا أعلم أنه لم يفعلها.

مرت سنوات وأنا اقابله وأتجنب النظر فى وجهه، ربما يكون قد نسى الموقف، ولكنى لم أنسه.

طلبت من التلميذ الذى حل المسألة أن يصفع زميله الذى لم يعرف حلها، فقال لى: آسف يا أستاذ... لن أضربه.

قلت له: سوف أجعله يضربك.

قال: وإن ضربنى، فلن أضربه؛ لأنه زميلى، وحضرتك علمتنا أن نحترم بعضنا.

طلبت من التلاميذ أن يصفقوا له، واعتذرت للتلميذ الذى لم يعرف الحل، وأنا فى قرارة نفسى أعتذر لزميلى الذى صفعته منذ سنوات.

ذكرى جميلة

لم أصدق عينى حينما لمحتها تقف أمام بيت أبيها، منذ أكثر من عشرين سنة فى نفس المكان ونفس التوقيت كانت تنتظر عودتى من الغيط، نتبادل النظرات والابتسامات، وفيما بعد الخطابات الغرامية تواعدنا على الزواج.

ولكن كانت الظروف أقوى منى، لم تكن لدى الشجاعة أن أواجه من وقفوا فى سبيل سعادتى، استسلمت ، ولم أدافع عن حبى، وحملتنى مسئولية الهزيمة.

تزوجت هى وتركت البلدة، ولم أتعب نفسى بالسؤال: أين ذهبت؟

وسافرت أنا أيضاً، وحاولت النسيان فلم أقدر؛ لأن كل دفتر من دفاترى القديمة كانت به قصيدة لها، أو مطلع أغنية لكوكب الشرق وفيروز.

رغم أن أحد أصدقائى قال لى إنه رآها منذ فترة، وإنها تغيرت،

وأصبحت التجاعيد تكسو وجهها، ولكن صورتها وابتسامتها لم تفارقنى ولم تتغير

كانت تقف أمام الباب ويبدو عليها القلق، توقفت مع صديق نتحدث

ولا أدرى ماذا قال، لأن عينى كانت تراقبها.

كنت أفكر: ماذا أقول لها؟ هل أناديها باسمها؟ أم باسم الدلع الذى كانت تحب أن أناديها به، أم أكلمها رسمى: يا مدام؟

وهل هى سوف تكلمنى رسمى؟

تقدمت فى اتجاهها، وابتسمت، يبدوأنها نسيت كل شئ، نفس الابتسامة التى كانت تضئ لى الطريق،وعلى بعد بضعة أمتار والابتسامة تزداد إشراقاً، مرق طفل كأنه سهم بجوار ى نحوها، احتضنها.

قالت له بلهفة: لماذا تأخرت يا حبيب ماما؟

وقبل أن يجيب حملته ودخلت وأغلقت الباب خلفها، وكأنها لم ترنى.

انطفات الابتسامة التى كانت تعلو وجهى، حينما سقطت عليها دمعة من عينى.

الأوتوبيس ٢٥

لم تكن المرة الأولى التى استقل فيها هذا الأوتوبيس، كان مكتظاً بالركاب، الواقفون أكثر من الجالسين على المقاعد، رغم أن الواقفين يتدافعون ويسبون ويشتمون، والبعض مستمتعون. الجالسون كأنهم من كوكب آخر.

لاحظنا أن السائق غير مسار خط الأوتوبيس، رغم احتجاج الواقفين لم يهتم السائق الذى يتحدث مع فتاة جميلة جالسة بجواره.

هاج الشباب واندفعوا نحو السائق، تهور شاب أراد أن يضربه، لكن السا ئق أخذ يتحدث برفق، واقترب من الباب، نزل وقال: خليكم واقفين، وانصرف وتبعته الفتاة، ثم قام الجالسون على المقاعد، وهم يسبون ويلعنون ويصفوننا بالتخلف.

أجلس الشباب بعض الشيوخ على المقاعد الخالية، قام رجل يرتدى الزى العسكرى، وقال: أنا أحسن القيادة،

وقـاد الأوتوبيـس، ولكنـه كان لايعـرف مطبـات الطريـق، ممـا جعـل الواقفـين يتارجحـون، والجالسـين يصطدمـون بالمقاعـد.

قال له أحدهم : أنت لاتحسن القيادة.

فـرد عليـه أحـد الشـباب بسـخرية: لا يامولانـا انـت مـش واخـد ع الجلـوس علـى المقاعـد.

لكـن الرجـل العسـكرى أوقـف الأوتوبيـس وقـال: أنـا وصلـت محطتـى، اختـاروا واحـد يسـوق مكانـى.

قـام شـيخ وقـور، وقـال هـذا الشـيخ يحسـن القيـادة، وافـق الجميـع عليـه. كان متـرددا، يبـدو أنـه اول مـرة يقـود سـيارة، أمسـك بعجلـة القيـادة، اقـترب منـه بعـض الشـيوخ، وعرفـوه كيـف يديـر المحـرك، وتحـرك الأوتوبيـس، لكنـه كان كل بضـع خطـوات تحـدث مشـادة بـين الـركاب. كان السـائق يينظـر إلى الخلـف، و الأوتوبيـس يتحـرك ببـطء، ولم يتوقـف، ولم يصـل الأوتوبيـس بعـد إلى محطتـه الأخـيرة، لأن السـائق لا يعـرف أيـن توجـد الفرامـل.

المؤلف فى سطور

- حسين ابراهيم شحات.
- الشهرة حسين الوردانى.
- من مواليد قرية المنصورية محافظة أسوان.
- مدرس أول «لغة عربية» بإدارة الوراق التعليمية.
- طبع له كتاب «طرائف مواعظ عن الموت».
- تحت الطبع رواية «الاستغماية».
- ومسرحية سميرة الأحزان.
- نشر قصصاً قصيرة فى صحف مصرية.

الفهرس

ولادة متعسرة ٥
الجريمة ٩
اليمامة ١٣
المتقلب ١٦
اعتقاد ١٩
فى نجعنا نخنوخ ٢٢
العجوايـة ٢٥
سرت فى جنازتى ٢٨
مشناق الكلاب ٣٢
عديلى ٣٥
السياسى ٣٩
المنحوس ٤٣
تذكرة سفر ٤٨
الثعبان ٥١
الكوبرى ٥٤
الكابوس الأخير ٥٨
على النايم ٦١
مأزق امراة ٦٥

آخر رسالة ٦٨
كلب إنجى ٧١
الاستغماية ٧٥
عاهة ٧٩
شكوى ٨٢
انتحار ٨٧
مسألة حساب ٩١
ذكرى جميلة ٩٣
الأوتوبيس ٢٥ ..... ٩٥
المؤلف فى سطور ٩٧

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع